ثالثًا ـ من قصص الإمام الشافعي

قصة كراهية الشافعي للإجازة

قال الربيع بن سليمان ـ رحمه الله ـ هَمَّ الشافعي بالخروج ـ يعني من مصر ـ وكان قد بقى عليَّ من كتاب البيوع شيء فقلت للشافعي: أجزه لي، فقال: ما قرئ عليَّ، فأعدت عليه بعد ذلك، فأعاد مثل ما قال أولاً، وما زادني على ذلك، ثم مَنَّ الله علينا به فأقام عندنا بعد ذلك مدة، فسمعنا بعد ذلك وتوفي عندنا، يعني أنه كره الإجازة.

رأيت النبي ﷺ في المنام

قال أبو عبد الله الحسين الحليمي: رأيت النبي ﷺ في المنام ببخارى كأنه في صحراء على ربوة من الأرض وبين يديه الأئمة الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين وكل واحد منهم على يسار صاحبه دونه وأنا دونهم فقال لي رسول الله ﷺ: هذه الأحاديث التي في كتاب الشافعي وهو يرويها عني يجب أن تأخذها لفظًا بعد لفظ[1].

قصة الشافعي مع سرح الغول

قال الربيع بن سليمان: كان بمصر رجل يقال له: «سرح الغول» كان إذا قال إنسان قصيدة عرضها عليه ليصلحها له.

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ٣٥-٤٠).

قال: وكان الشافعي يقول: ادعوا لي سرحًا، ولا يقول الغول، فناظره الشافعي فأسمعه يقول ـ يعني سرحًا ـ: نحن والله نحتاج نستقبل طلب العلم من اليوم.

آمنت بالذي فوَّهك هذا العلم

قال الربيع بن سليمان: كنت يومًا عند الشافعي فجاءه رجل فقال: أيها العالم ما تقول في حالفٍ حلف: إن كان في كمي دراهم أكثر من ثلاثة فعبدي حر؟! وكان في كمه أربعة دراهم!! فقال الشافعي: لم يعتق عبده، قال: لِمَ؟ قال: لأنه استثنى من جملة ما في كمه دراهم، والدرهم لا يكون دراهم، فقال: آمنت بالذي فوهك هذا العلم[1].

وحسادي ذوو عدد

قال المزني: حضرت الشافعي وقيل له: إن فلانًا يقول: الشافعي ليس بفقيه فضحك وأنشأ يقول:

إنني نشأت وحسادي ذوو عددٍ ❊❊❊ رب المعارج لا تفني لهم عدد

فكانوا يتهادونه بالبصرة

مات ابن لعبد الرحمن بن مهدي، فجزع عليه جزعًا شديدًا حتى امتنع عن الطعام والشراب، فبلغ ذلك الشافعي فكتب إليه:

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ٦٢).

إني معزيك لا أني على طمع ✻✻✻ من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزّي بباق بعد صاحبه ✻✻✻ ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

قصة الاشتغال بالعلم

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: سئل بعض السلف: ما بلغ من اشتغالك بالعلم؟ فقال: هو سلوتي إذا اهتممت ولذتي إذا سلوت[1]

فهو طلاق

قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: إذا قال الرجل لامرأته: اشربي أو كلي أو ذوقي، وقال: أردت طلاق فهو طلاق، والعرب تقول: اشرب الشيء، تريد به المكروه، ألا تسمع إلى قول الشاعر:

اشرب بكأس كنت تسقي بها ✻✻✻ أمرّ في فيك من العلقم

قصة شكر الشافعي

قال سليمان بن الربيع: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: إن فلانًا صديقك عليل، فقال له الشافعي: لقد اتخذت عندي يدًا وأحسنت إليَّ حيث أيقظتني لمكرمة ودللتني على أفضالٍ ودفعت عني اعتذارًا يشوبه بعض الكذب ثم قال: يا غلام: نعلي فالمشي على الحفا علة الوجا في حر الرمضا إلى ذي طوى، أيسر من اعتذار إلى صديقك ربما لا يعذرك فيه، وربما يشوبه شيء من الكذب وإن قل[2].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص:١٠١).
(٢) «المناقب» (جـ٢، ص:١٠٣).

ألا نأتيك بطبيب؟!

قال المزني: مرض الشافعي رضي الله عنه فدخلنا عليه نعوده فقال له بعض من حضر: ألا نأتيك بطبيب؟ قال: بلى، قال: فأتيناه بطبيب فأخذ يجس الشافعي فوجد الشافعي العلة في جسم الطبيب والطبيب لا يعلم، فأطرق الشافعي وأنشد:

جاء الطبيب يجسني فجسسته ❊❊❊ فإذا الطبيب لما به من حال
وغدا يعالجني بطول سقامه ❊❊❊ ومن العجائب أعمش كحّال

فلا تسكنها

وقال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: إذا دخلت بلدة لا تجد فيها حاكمًا عدلاً ولا ماءً جاريًا وطبيبًا رفيقًا فلا تسكنها.

هذا بيت القصيد

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: قال لي الرشيد: يا محمد بلغني أنك تُباكر الغداء؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ولِمَ ذاك؟ قلت: يا أمير المؤمنين لأربع خصال، قال: وما هي؟ قلت: برد الماء وطيب الهواء وقلة الذباب، ثم رحمي نفسي من موائد غيري، قال الرشيد: هذا بيت القصيد.

فأبصر

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: كان لي غلام أعشى لم يكن يبصر باب الدار، فأخذت له زيادة الكبد فكحلته بها فأبصر[1].

عمن هذا؟!

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان بن عيينة: لم يعط أحد في الدنيا شيئًا أفضل من النبوة ولم يعط بعد النبوة شيء أفضل من طلب العلم والفقه، ولم يعط في الآخرة أفضل من الرحمة، فقيل له: يا أبا محمد عمن هذا؟ فقال: عن الفقهاء كلهم.

أدب التخلل

قال ابن شريح: سمعت الشافعي يقول: ما تخلل الإنسان بالخلال من بين أسنانه فليقذفه، وما أخرجه بأصابعه فليأكله.

تركته لله فرزقني بعد ذلك

عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: سمعت الشافعي يقول: بقيت ست عشرة سنة، ما كان طعامي إلا رخفًا وتمرًا آكل منه بقدر ما يقوم به جسدي، فقيل له: ما الذي أردت به يا أبا عبد الله؟ قال: أردت الحفظ للعلم والفقه، تركته لله فرزقني بعد ذلك.

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١١٥-١٢٢).

العلم قبل الرئاسة

قال أحمد بن صالح: قالت لي الشافعي: يا أبا جعفر، تعبَّد من قبل أن ترأس، فإذا ترأست فلم تقدر تعبد[١].

قصة الحكيم والذنوب

روى يونس بن عبد الأعلى، فقال: سمعت الشافعي يقول: كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي.. لقد أوتيت علمًا فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم[٢].

قصة الحسد والحسود

روى يحيى بن زكريا بن محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله ـ قال: بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج بن يوسف: ما من أحد إلا وهو عارف بعيوب نفسه، فعب نفسك ولا تخبأ منها شيئًا، فقال: يا أمير المؤمنين، هو لجوج حقود حسود، فقال له عبد الملك: إذًا بينك وبين الشيطان نسب!! فقال: يا أمير المؤمنين إن الشيطان إذا رآني سالمني، قال: ثم قال الشافعي: الحسد إنما يكون من لؤم العنصر، وتعادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل، الحاسد طويل الحسرات عادم الدرجات[٣].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٤٠-١٤٢).
(٢) «الحلية» (٩/ ١٤٦).
(٣) السابق (٩/ ١٤٧).

قصة شهوة الشافعي للعلم

قال المزني: قيل لمحمد بن إدريس الشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع بالحرف منه ما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم به مثل ما تنعمت الأذنان.

قصة الحمقى عند الشافعي

قال الربيع بن سليمان: قال لي الشافعي: قيل لسفيان بن عيينة، وقد ضاق خلقه: يا محمد، يأتيك قوم من أقطار الأرض فتضيق عليهم؟! يوشك أن يذهبوا ويتركوك؟! قال: هم إذًا حمقى مثلك إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي[1].

قصة الشافعي مع الملحين

قال الربيع بن سليمان: ألحَّ علي الشافعي ـ رحمه الله ـ قوم من أصحاب الحديث، فقال: لا تكلفوني أن أقول لكم ما قال محمد بن سيرين لرجل ألح عليه:

إنك إن كلفتني ما لم أطق ❊❊❊ ساءك ما سرك مني من خلق

قصة الشافعي وحكاية الأعمش

روى يونس بن عبد الأعلى فقال: سمعت الشافعي يقول: كان يختلف إلى الأعمش رجلان: أحدهما كان الحديث من شأنه، والآخر لم يكن الحديث من شأنه، فغضب الأعمش يومًا على الذي من شأنه الحديث، فقال الآخر: لو

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٤٣).

غضب عليَّ كما غضب عليك لم أعد إليه، فقال الأعمش: إذًا هو أحمق مثلك، يترك ما ينفعه لسوء خلقي[١].

أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي

قال الشافعي: كانت نهمتي في شيئين: في الرمي وفي طلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من العشرة عشرة، وسكتَ عن العلم، فقيل: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي[٢].

أنت تحب أن تكون قاضيًا

قال الشافعي: أتيت مالكًا وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فأتيت ابن عم لي والى المدينة، فكلم مالكًا فقال: اطلُبْ من يقرأ لك، قلت: أنا أقرأ، فقرأت عليه، فكان ربما قال لي لشيء قد مر: أعِدْهُ، فأعيده حفظًا، فكأن أعجبهُ، ثم سألته عن مسألة، فأجابني ثم أخرى، فقال: أنت تحب أن تكون قاضيًا[٣].

نظرت في دفتي المصحف فعرفت مراد الله

قال الشافعي: نظرت في دفتي المصحف فعرفت مراد الله تعالى إلا في حرفين، واحد منهما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠)، فإني لم أجده[٤].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٤٥-١٤٦).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ٧٧)، «السير» (جـ١٠، ص: ١١).
(٣) «السير» (جـ١٠، ص: ١٢)، «مناقب الشافعي» (ص: ٩-١٠).
(٤) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠٤)، «تاريخ بغداد» (جـ٢، ص: ٦٣).

والله آن لك أن تفتي

قال الحميدي: سمعتُ مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي: أفْتِ يا أبا عبد الله، فقد والله آن لك أن تفتي ـ وهو ابن خمس عشرة سنة ـ.

ما رأيت أعقل من الشافعي

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق على مسألة[١].

رأت كأن المشترى خرج من فرجها

قال ابن عبد الحكم: لما حملت والدة الشافعي به، رأت كأن المشترى خرج من فرجها، حتى انقضَّ بمصر، ثم وقع في كل بلدةٍ منه شظية، فتأوله المعبِّرون أنها تلد عالمًا، يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق في البلدان[٢].

لا تشتغل بهذا وأقبل على ما ينفعك

قال الشافعي: ولدت باليمن ـ يعني القبيلة لأن أمه أزدية ـ قال: فخافت أمي عليَّ الضيعة، وقالت: الحق بأهلك فتكون مثلهم، فإني أخاف عليك أن تغلب على نسبك، فجهزتني إلى مكة، فقدمتُها يومئذ وأنا ابن عشر سنين،

---

(١) «السير» (جـ١، ص:١٦).

(٢) «السير» (جـ١٠، ص: ١٠)، و«تاريخ بغداد» (جـ٢، ص:٥٨).

فصرت إلى نسيب لي، وجعلت أطلب العلم فيقول لي: لا تشتغل بهذا، وأقبل على ما ينفعك، فجُعلت لذتي في العلم[١].

وكنت أصيب من العشرة تسعة

قال الربيع المؤذن: سمعت الشافعي يقول: كنت ألزم الرمي حتى كان الطبيب يقول لي: أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر، قال: وكنت أصيب من العشرة تسعة[٢].

كنت يتيما في حجر أمي

قال الحميدي: قال الشافعي: كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضى مني أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا أجرة قديمة، فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة[٣].

أيهما أعلم

قال عبد الله الصافاني: سألت يحيى بن أكتم عن أبي عبيد والشافعي أيهما أعلم؟ قال: كان أبو عبيد يأتينا هاهنا كثيرًا، وكان رجلاً إذا ساعدته الكتب كان

(١) «مناقب الشافعي» (ص: ٧٣)، «السير» (جـ١٠، ص: ١٠).
(٢) «السير» (جـ١٠، ص: ١١)، «تاريخ بغداد» (جـ٢، ص: ٦٠).
(٣) «حلية الأولياء» (جـ٩، ص: ٧٣)، «السير» (جـ١٠، ص: ١١).

حسن التصنيف من الكتب، وكان يرتبها بحسن ألفاظه لاقتداره على العربية، وأما الشافعي فقد كان عند محمد بن الحسن كثيراً في المناظرة، وكان رجلاً قرشي العقل والفهم والذهن، صافي العقل والفهم والدماغ، سريع الإصابة، ولو كان أكثر سماعًا للحديث لاستغنى أمة محمد ﷺ به عن غيره من الفقهاء[١].

سَلُوا هذا

قال أحمد بن محمد بن بنت الشافعي: سمعت أبي وعمي يقولان: كان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا، ألتفت إلى الشافعي، فيقول: سلوا هذا[٢].

إن كان مات فقد مات أفضل أهل زمانه

قال تميم بن عبد الله: سمعت سويد بن سعيد يقول: كنت عند سفيان بن عيينة، فجاء الشافعي، فسلم وجلس، فروى ابن عيينة حديثًا رقيقًا فغشي على الشافعي، فقيل: يا أبا محمد، مات محمد بن إدريس، فقال ابن عيينة: إن كان مات، فقد مات أفضل أهل زمانه[٣].

أفٍّ أفٍّ .. القرآن كلام الله

قال الربيع: سمعت الشافعي وسُئل عن القرآن؟ فقال: أفٍّ أفٍّ .. القرآن كلام الله، من قال: مخلوق فقد كفر[٤].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:١٧).

(٢) «المناقب» للبيهقي (جـ٢، ص: ٢٤٠).

(٣) «السير» (جـ١٠، ص:١٧-١٨)، «الحلية» (جـ٩، ص:٩٥).

(٤) «السير» (جـ١٠، ص:١٨).

مناظرة حفص الفرد

قال ابن عبد الحكم: كان الشافعي بعد أن ناظر حفصًا الفرد يكره الكلام وكان يقول: والله لأن يُفتي العالم، فيقال: أخطأ العالم خيرٌ له من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إليَّ من الكلام وأهله[١].

الشافعي والحانث

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة وبالصفا والمروة، فليس عليه كفارة لأنه مخلوق، وذاك غير مخلوق[٢].

لو رأيته يطير في الهواء لما قبلته

قال يونس: قلت للشافعي: صاحبنا الليث يقول: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته، قال: قصَّر لو رأيته يطير في الهواء لما قبلته[٣].

قصة الإمام مالك مع ابن عُليَّة

قال عبد الله بن صالح: كنا عند الشافعي في مجلسه، فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ، فكتبناه وذهبنا به إلى إبراهيم بن عُليَّة وكان

(١) «السير» (جـ١٠، ص:١٩).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١١٣).
(٣) «المناقب» للبيهقي (جـ١، ص:٤٥٣).

من غلمان أبي بكر الأصم المعتزلي وكان في مجلسه عند باب الصوفي، فلما قرأنا عليه جعل يحتج بإبطاله، فكتبنا ما قال، وذهبنا به إلى الشافعي فنقضه، وتكلم بإبطاله، ثم كتبناه وجئنا به إلى ابن علية فنقضه ثم جئنا إلى الشافعي فقال: إن ابن علية ضال قد جلس بباب الضوال يضل الناس[١].

ومن لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمه

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمه[٢].

ما أريد إلا نصيحتك

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: كل حديث جاء من العراق، وليس له أصل في الحجاز فلا تقبله، وإن كان صحيحًا، ما أريد إلا نصيحتك.

قصة الإمام مالك مع شبيه فرعون

قال المزني: كنت أنظر في علم الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم أتيته فسألته عن مسألة في الكلام، فقال لي: تدري أين أنت؟ قلت: نعم، في مسجد الفُسطاط، قال لي: أنت في تاران ـ وهي مكان غرق فيه فرعون وقومه ـ ثم ألقى

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٢٣-٢٤).

(٢) «المناقب» للبيهقي (جـ٢، ص: ٢٨٢).

علي مسألة في الفقه، فأجبت، فأدخل شيئًا أفسد جوابي، فأجبت بغير ذلك، فأدخل شيئًا أفسد جوابي، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده، ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس، يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين الذي فيه الزلل كثير؟ فتركت الكلام وأقبلت على الفقه[1].

الإمام مالك مع التوحيد والكلام

سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»[2]، فما عُصم به الدم والمال حقيقة التوحيد[3].

لا يفلح

قال حسين بن علي الكرابيسي: شهدت الشافعي ودخل عليه بشر المريسي فقال لبشر: أخبرني عما تدعو إليه، أكتاب ناطق، وفرض مفترض، وسنة قائمة، ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال؟ فقال بشر: لا، إلا أنه لا يسعنا خلافه، فقال الشافعي، أقررت بنفسك على الخطأ، فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبار، يواليك الناس وتترك هذا؟ قال: لنا نَهْمَةٌ فيه، فلما خرج بشر، قال الشافعي: لا يُفلح[4].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٢٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) «السير» (جـ١٠، ص:٢٦).

(٤) «المناقب» للبيهقي (جـ١، ص:٢٠٤).

المزني والشافعي

قال المزني: سألت الشافعي عن مسألة من الكلام، فقال: سلني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت: أخطأت، ولا تسألني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت: كفرت[١].

فإن خصمك النبي ﷺ غدًا

قال الربيع: قال الشافعي: يا ربيع اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإن خصمك رسول الله ﷺ غدًا، ولا تشتغل بالكلام؛ فإني اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم[٢].

حكمي في أهل الكلام

قال الزعفراني: سمعنا الشافعي يقول: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم على العشائر يُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام[٣].

فاستدل بالمخلوق على الخالق

قال المزني: قلت: إن كان أحد يُخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين

---

(١)، (٢) «السير» (جـ١٠، ص:٢٨).

(٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي.

يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحدًا لا علم له كعلمك، فما الذي عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجمًا في السماء؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، مم خلق؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه فلم أصب في شيء منه، فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣)، فاستدل بالمخلوق على الخالق ولا تتكلف علم ما لم يبلُغْهُ عقلك، قال: فثبت[1].

إن رأيتني خرجت من الكنيسة

قال الحميدي: كنت بمصر وحدث الشافعي بحديث عن رسول الله ﷺ فقال له رجل: يا أبا عبد الله أنأخذ بهذا؟ فقال: إن رأيتني خرجت من الكنيسة أو ترى عليَّ زنارًا - زيَّ اليهود -؟ إذا ثبت عندي عن رسول الله ﷺ حديث قلت به وقولّته إياه ولم أزل عنه، وإن هو لم يثبت عندي لم أقولّه إياه، أترى علي زنارًا حتى لا أقول به؟![2].

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٣٢).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠٦).

وكأنما جُمع له الرجاء والرهبة جميعًا

قال الكرابيسي: بتُّ ليلة مع الشافعي، فكان يصلي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمئة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعًا[١].

إفلاسات الشافعي

قال عمرو بن سواد: كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام، وقال لي الشافعي: أفلست من دهري ثلاث إفلاسات؛ فكنت أبيع قليلي وكثيري حتى حُلي بنتي وزوجتي ولم أرهن قط[٢].

قصة الشافعي مع الرامي

قال المزني: كنت مع الشافعي يومًا فخرجنا الأكوام فمرَّ بهدفٍ فإذا برجل يرمي بقوسٍ عربيةٍ، فوقف عليه الشافعي ينظر وكان حسن الرمي، فأصاب بأسهم، فقال الشافعي: أحسنت، وبرَّك عليه، ثم قال: أعطه ثلاث دنانير واعذرني عنده[٣].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٣٥).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١٣٢).

(٣) «السير» (ج١٠، ص:٣٧).

قصة الشافعي مع الحذائين

قال الربيع: كان الشافعي مارًا بالحذائين، فسقط سوطه فوثب غلام ومسحه بكُمه وناوله، فأعطاه سبعة دنانير[١].

قصة الإمام مالك مع البقال

قال الربيع: كان بالشافعي هذه البواسير، وكانت له لِبْدَة محشية بحُلْبَة يجلس عليها فإذا ركب أخذت تلك اللبدة ومشيت خلفه، فناوله إنسان رقعة يقول فيها: إنني بقال رأس مالي درهم وقد تزوجت فأعني، فقال: يا ربيع أعطه ثلاثين دينارًا واعذرني عنده، فقلت: أصلحك الله، إن هذا يكفيه عشرة دراهم فقال: ويحك! وما يصنع بثلاثين؟ أفي كذا، أم في كذا - يعدُّ ما يصنع في جهازه - أعطه[٢].

ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مئة دينار

قال الشافعي: خرج هرثمة، فأقرأني سلام أمير المؤمنين هارون الرشيد وقال: قد أمر لك بخمسة آلاف دينار، قال: فحمل إليه المال فدعا بحجام فأخذ شعره فأعطاه خمسين دينارًا، ثم أخذ رقاعًا فصر صررًا وفرقها في القرشيين الذين هم بالحضرة ومن بمكة، حتى ما رجع إلى بيته بأقل من مئة دينار[٣].

---

(١) «المناقب» للبيهقي (جـ٢، ص: ٢٢١).
(٢) «السير» (جـ١٠، ص: ٣٨).
(٣) «حلية الأولياء» (جـ٩، ص: ١٣١-١٣٢).

قصة الشافعي في صنعاء

قال الحميدي: قدم الشافعي صنعاء، فضربت له خيمة، ومعه عشرة آلاف دينار، فجاء قوم فسألوه، فما قُلعت الخيمة ومعه منها شيء[١].

فإني لا أتغدى حتى يجيء!

قال ابن عبد الحكم: كان الشافعي أسخى الناس بما يجده فكان يمر بنا فإن وجدني وإلا فقال: قولي لمحمد إذا جاء يأتي المنزل، فإني لست أتغدى حتى يجيء!، فربما جئته فإذا قعدت معه على الغداء قال: يا جارية اضربي لنا فالوذجًا، فلا تزال المائدة بين يديه حتى تفرغ منه ويتغدى[٢].

اشتهوا ما أردتم

قال أبو ثور: كان الشافعي من أسمح الناس، يشتري الجارية الصَّناع التي تطبخ وتعمل الحلواء، ويشترط عليها هو أن لا يقربها، لأنه كان عليلاً لا يمكنه أن يقرب النساء لباسور به إذ ذاك، وكان يقول لنا: اشتهوا ما أردتم[٣].

---

(١) «مناقب الشافعي» (جـ٢، ص: ٢٢٠).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٣٢).
(٣) «السير» (جـ١٠، ص: ٣٩).

ما بين مالك والشافعي

قال الربيع: أصحاب مالك كانوا يفخرون علينا، فيقولون: إنه يحضر مجلس مالك نحو من ستين معممًا، والله لقد عددت في مجلس الشافعي ثلاث مئة معمم سوى من شذ عني.

أشقر أزرق!!

قال الربيع: اشتريت للشافعي طيبًا بدينار فقال لي: ممن اشتريت؟ فقلت: من الرجل العطار الذي هو قبالة الميضأة، قال: من؟ قلت: الأشقر الأزرق، قال: أشقر أزرق؟ قلت: نعم! قال: اذهب فرده، ما جاءني خير قط من أشقر[١].

فإنهم أصحاب خبث

قال الشافعي: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكويسح وكل من به عاهة في بدنه، وكل ناقص الخلق فاحذره فإنه فيه التواء ومخالطته معسرة وإنهم أصحاب خبث وإذا كانت ولادتهم بهذه الحالة، فأما من حدث فيه شيء من هذه العلل وكان في الأصل صحيح التركيب لم تضر مخالطته[٢].

أنت تموت في الحديد

قال الربيع: كنت أنا والمزني والبويطي عند الشافعي، فنظر إلينا، فقال لي: أنت تموت في الحديث، وقال للمزني: هذا لو ناظره الشيطان قطعه وجدله،

---

(١) «حلية الأولياء» (جـ٩، ص: ١٣٩ـ ١٤٠).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٤).

وقال للبويطي: أنت تموت في الحديد، قال: فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيته مقيدًا مغلولاً[١].

الأصل والثمرة

قال الشافعي: أصل العلم التثبت، وثمرته السلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة، وأصل الصبر الحزم، وثمرته الظفر، وأصل العمل التوفيق وثمرته النجاح، وغاية كل أمر الصدق[٢].

فهو شيطان

قال الشافعي: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرضَ فهو شيطان.

رأي الشافعي! إنه ليس برأي

قال ابن نصر الترمذي: رأيت في المنام النبي ﷺ في مسجده بالمدينة، فكأني جئت فسلمت عليه وقلت: يا رسول الله، أكتب رأي مالك؟ قال: لا، قلت: أكتب رأي أبي حنيفة؟ قال: لا، قلت: أكتب رأي الشافعي؟ فقال: بيده هكذا كأنه انتهرني، وقال: تقول: رأي الشافعي!! إنه ليس برأي، ولكنه ردَّ من خالف سنتي[٣].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص:١٣٦).

(٢) «السير» (جـ١٠، ص:٤١).

(٣) «الحلية» (جـ٩، ص:١٠٠).

ليس قول إلا قولي

قال محمد بن حسن البلخي: قلت في المنام: يا رسول الله، ما تقول في قول أبي حنيفة والشافعي ومالك؟ فقال: ليس قول إلا قولي، ولكن قول الشافعي ضد قول أهل البدع.

أما الشافعي فمنّي وإليَّ

قال أحمد بن الحسين الترمذي: رأيت النبي ﷺ في المنام، فسألته عن الاختلاف، فقال: أما الشافعي فمني وإليَّ، وفي الرواية الأخرى: أحيى سنتي[١].

هذا الشافعي الذي كنت تزعم قد قدم

قال الزعفراني: حج بشر المريسي، فلما قدم قال: رأيت بالحجاز رجلاً ما رأيت مثله سائلاً ولا مجيبًا ـ يعني الشافعي ـ قال: فقدم علينا، فاجتمع إليه الناس وخفَّوا عن بشر فجئت إلى بشر، فقلت: هذا الشافعي الذي كنت تزعم قد قدم، قال: إنه قد تغير عما كان عليه، قال: فما كان مثل بشر إلا مثل اليهود في شأن عبد الله بن سلام[٢].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٤٤).

(٢) شأن اليهود في عبد الله بن سلام أنه لما أراد أن يسلم قال للنبي ﷺ: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي بهتوني، فأرسل إليهم فسلهم عني، فأرسل إليهم فقال: «أي رجل فيكم عبد الله ابن سلام؟»، قالوا: حبرنا وابن حبرنا، وعالمنا وابن عالمنا. . . . فلما أعلن عبد الله بن سلام إسلامه أمامهم قالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا. «السير» (جـ١٠، ص: ٤٤).

فهل لهذين من خَلَفٍ أو منهما عوض؟!

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال: يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما من عوض[١].

وما كان الشافعي إلا ساحرًا

قال يونس بن الأعلى: ما كان الشافعي إلا ساحرًا ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كأن ألفاظه سُكر... وكأن قد أوتي عذوبة منطق، وحسن بلاغة وفرط ذكاء، وسيلان ذهن، وكمال فصاحة، وحضور حجة[٢].

قصة الشافعي مع صاحب التمرة

قال حرملة: سئل الشافعي عن رجل في فمه تمرة، فقال: إن أكلتها، فامرأتي طالق، وإن طرحتها فامرأتي طالق، قال: يأكل نصفًا ويطرح النصف[٣].

هذه فتيا العجائز

قال الربيع: سأل الرجل الشافعي عن قاتل الوزغ هل عليه غُسل؟ فقال: هذه فتيا العجائز[٤].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٤٥).
(٢) «المناقب» (جـ٢، ص:٥٠).
(٣) «الحلية» (جـ٩، ص:١٤٣).
(٤) «السير» (جـ١٠، ص:٥٣).

إنما الحجة عليك وعلى مُعَلِّمك

قال ابن عبد الحكم: ما رأت عيني قط مثل الشافعي، قدمت المدينة فرأيت أصحاب عبد الملك بن الماجشون يَغْلُون بصاحبهم، يقولون: صاحبنا الذي قطع الشافعي قال: فلقيت عبد الملك فسألته عن مسألة فأجابني فقلت: الحجة؟ قال: لأن مالكًا قال: كذا وكذا، فقلت في نفسي: هيهات أسألك عن الحجة، وتقول: قال مُعلمي! وإنما الحجة عليك وعلى معلمك[1].

عليك بالكتب التي عملها بمصر

قال محمد بن مسلم: سألت أحمد بن حنبل: ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أهي أحب إليك أو التي بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي عملها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يُحْكِمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك، وقلت لأحمد: ما ترى لي من الكتب أن أنظر فيه رأي مالك أو الثوري أو الأوزاعي؟ فقال لي قولاً أُجِلُّهم أن أذكره، وقال: عليك بالشافعي، فإنه أكثرهم صوابًا وأتبعهم للآثار[2].

كتبت كتب الشافعي؟

قال ابن وارة: قدمت من مصر فأتيت أحمد بن حنبل، فقال لي: كتبتَ كتب الشافعي؟ قلت: لا، قال: فرطت، ما عرفنا العموم من الخصوص وناسخ

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٥٣-٥٤).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ٩٧).

الحديث من منسوخه، حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك على الرجوع إلى مصر فكتبتها[١].

الشافعي والفول

قال الشافعي: عجبًا لمن تعشى البيض المسلوق فنام، كيف لا يموت، والفول يزيدُ في الدماغ، والدماغ يزيد في العقل[٢].

ودفن تلك الكتب

قال ابن بنت الشافعي: سمعت أبي يقول: كان الشافعي وهو حديث ينظر في النجوم وما ينظر في شيء إلا فاق فيه، فجلس يومًا وامرأته تُطْلَقُ فحَسَب، فقال: تلدُ جارية عوراء، على فرجها خالٌ أسود تموت إلى يوم كذا وكذا، فولدت كما قال، فجعل على نفسه أن لا ينظر فيه أبدًا، ودفن تلك الكتب[٣].

والله ما رأينا منه إلا خيرًا

سئل أحمد بن حنبل عن الشافعي فقال: لقد من الله علينا به، لقد كنا تعلمنا كلام القوم وكتابتهم، حتى قدم علينا فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلم من غيره وقد جالسناه الأيام والليالي، فما رأينا منه إلا كل خير، فقيل له: يا أبا

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٦٢).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٣٧).
(٣) «السير» (جـ١٠، ص: ٥٧).

عبد الله كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه ـ يشير إلى التشيع وأنهما نسباه إلى ذلك ـ فقال أحمد بن حنبل: ما ندري ما يقولان، والله ما رأينا منه إلا خيراً[١].

فلهم الفضل علينا

قال الشافعي: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ جزاهم الله خيراً، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل[٢].

أنت الذي يزْعُم أهل خراسان أنك فقيههم؟!

قال إبراهيم بن محمد الكوفي: ـ وكان من الإسلام بمكان ـ رأيت الشافعي بمكة يفتي الناس ورأيت أحمد وإسحاق حاضرين، فقال الشافعي: قال رسول الله ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من دار»، فقال إسحاق: حدثنا يزيد عن عطاء وطاووس ولم يكونا يريانه ـ فقال الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم، ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه أقول: قال رسول الله ﷺ وأنت تقول: عطاء وطاووس وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة؟![٣].

لا تغفل عني فإني مكروب

قال ابن عبد الأعلى: ما رأيت أحداً لقى من السقم ما لقى الشافعي، فدخلت عليه فقال: اقرأ ما بعد العشرين والمئة من آل عمران، فقرأت، فلما قمت قال: لا تغفل عني فإني مكروب[٤].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٥٨).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١٠٩).
(٣) «المناقب» (جـ٢، ص:٢١٤).
(٤) «السير» (جـ١٠، ص:٧٥).

يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟

قال المزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها أو إلى نار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ❊❊❊ جعلت رجائي دون عفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ❊❊❊ بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل ❊❊❊ تجود وتعفو منةً وتكرما
فإن تنتقم مني فلست بآيس ❊❊❊ ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما
ولولاك لم يُغوى بإبليس عابد ❊❊❊ فكيف وقد أغوى صفيَّك آدما
وإني لآتي الذنب أعرف قدره ❊❊❊ وأعلم أن الله يعفو ترحما[1]

قصة الإمام مالك مع خادم الرشيد

قال الحارث بن سريج: دخلت مع الشافعي على خادم الرشيد وهو في بيت قد فرش بالديباج، فلما أبصره رجع فقال له الخادم: أدخل، قال: لا يحل افتراش الحُرم، فقام الخادم مبتسمًا، حتى دخل بيتًا قد فرش بأقل منه، فدخل الشافعي ثم أقبل عليه فقال: هذا حلال، وذاك حرام، وهذا أحسن من ذاك وأكثر ثمنًا، فتبسم الخادم وسكت[2].

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١١١).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٢٦-١٢٧).

وإني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي

قال المروزي: قال أحمد بن حنبل: إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبرًا قلت فيها بقول الشافعي، لأنه إمام قُرشي، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عالم قريش يملأ الأرض علمًا»[١]، إلى أن قال أحمد: وإني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي[٢].

لست أنا ولا أنت من رجال البلاء

قال الربيع: كان الشافعي إذا حدث كأنما يقرأ سورة من القرآن، وكان فصيحًا، فمرض مرضًا شديدًا فقال: اللهم إن كان هذا لك رضى فزده فبلغ ذلك إدريس بن يحيى الخولاني فبعث إليه: يا أبا عبد الله! لست أنا ولا أنت من رجال البلاء، قال: فبعث إليه: يا أبا عمرو! ادع الله لي بالعافية[٣].

قصة الإمام الشافعي مع الشيخ

قال المزني: كنا يومًا عند الشافعي، إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف وفي يده عكازة، فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه وسلم الشيخ وجلس وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له، إذ قال الشيخ: أسأل؟ قال: سل، قال: ما الحجة في دين الله؟ قال: كتاب الله، قال: وماذا؟، قال: سنة رسول الله ﷺ، قال: وماذا؟

---

(١) حديث ضعيف.

(٢) «السير» (جـ١٠، ص: ٨٢).

(٣) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٣٥).

قال: اتفاق الأمة، قال: من أين قلت: اتفاق الأمة؟ فتدبر الشافعي ساعة، فقال الشيخ: قد أجَّلتُك ثلاثًا، فإن جئت بحجة من كتاب الله، وإلا تُبْ إلى الله تعالى، فتغير لون الشافعي، ثم إنه ذهب، فلم يخرج إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه وهو مسقام فجلس فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ فسلم، وجلس فقال: حاجتي؟ فقال الشافعي: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى...﴾ (النساء: ١١٥)، قال: فلا يُصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض، فقال: صدقت، وقام فذهب، فقال الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقفت عليه[١].

إن أردت الفقه فالزم ذَنَب البغلة

قال ابن ماجة القزويني: جاء يحيى بن معين إلى أحمد بن حنبل فبينما هو عنده إذ مر الشافعي على بغلته، فوثب أحمد يسلم عليه وتبعه، فأبطأ ويحيى جالس، فلما جاء، قال يحيى: يا أبا عبد الله، كم من هذا؟ فقال: دع عنك هذا؟ إن أردت الفقه، فالزم ذَنَب البغلة[٢].

قصة الإمام الشافعي مع فرخ الزنبور

قال المستملي: رأيت الشافعي في المسجد الحرام، وقد جُعلت له طنافس فجلس عليها فجاءه رجل من أهل خراسان فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في أكل فرخ الزنبور؟ فقال: حرام، فقال: حرام؟! قال: نعم، من كتاب الله وسنة

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٨٤).

(٢) «المناقب» (جـ٢، ص: ٢٥٢).

رسول الله، والمعقول، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:٧)، وقال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[١]، هذا الكتاب والسنة[٢].

رضا الناس غاية لا تدرك

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط، رضا الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه[٣].

وما في الدنيا مثل ماء مصر

قال الشافعي: يقولون: ماء العراق، وما في الدنيا مثل ماء مصر للرجال، لقد قدمت مصر، وأنا مثل الخصي ما أتحرك، قال: فما برح من مصر حتى وُلد له[٤].

قصة جلد غريبة

قال الشافعي: بينما أنا أدور في طلب العلم ودخلت اليمن، فقيل لي: بها إنسان من وسطها إلى أسفل بدن امرأة، ومن وسطها إلى فوق بدنان مفترقان

---

(١) حديث صحيح: انظر مناقب الصحابة وفضلهم في «حياة الصحابة» للكاندهلوي.
(٢) «الحلية» (جـ٢، ص:١٠٩-١١٠).
(٣) «السير» (جـ١٠، ص:٨٩).
(٤) «المناقب» (جـ٢، ص:١١٩).

بأربع أيد ورأسين ووجهين، فأحببت أن أنظر إليها، فلم أستحل حتى خطبتها من أبيها، فدخلت فإذا هي كما ذُكر لي، فَلَعَهدي بهما، وهما يتقاتلان، ويتلاطمان، ويصطلحان ويأكلان، ثم إني نزلت عنها، وغبت عن تلك البلد سنتان، ثم عدت فقيل لي: أحسن الله عزاءك في الجسد الواحد، توفي، فعُمد إليه فُربط من أسفل بحبل وترك حتى ذبل فقطع ودفن، قال الشافعي: فلعهدي بالجسد الواحد في السوق ذاهبًا وجائيًا أو نحوه[١].

إياك ومخالطة السفهاء

قال الشافعي: اجتناب المعاصي وترك ما لا يعنيك ينور القلب، عليك بالخلوة وقلة الأكل، إياك ومخالطة السفهاء ومن لا ينصفك، إذا تكلمت فيما يعنيك ملكتك الكلمة ولم تملكها[٢].

التواضع من أخلاق الكرام

قال الشافعي: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

لا برب السفرجل

قال الربيع: لما كان المغرب ليلة مات الشافعي قال له ابن عمه يعقوب: ننزل حتى نصلي؟ قال: تنتظرون خروج نفسي، فنزلنا ثم صعدنا فقلنا له: صليت

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٢٧-١٢٨).
(٢) «السير» (جـ١٠، ص:٩٨).

أصلحك الله؟ قال: نعم، فاستسقى - وكان شتاء - فقال له ابن عمه امزجوه بالماء الساخن، فقال الشافعي: لا برب السفرجل، وتوفي مع العشاء الآخرة[١].

تفقه يعلمك الله

قال حسين الكرابيسي: سمعت الشافعي يقول: كنت امرأ أكتب الشعر فآتي البوادي فأسمع منهم، قال: فقدمت مكة فخرجت منها وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من خلفي من الحجبة، فقال: رجل من قريش ثم ابن عبد المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلمًا، ما الشعر؟ هل الشعر إذا استحكمت فيه إلا قصدت معلمًا، تفقه يعلمك الله، قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي.

على أيهن تطعن؟!

قال الشافعي: لما جلست مع أمير المؤمنين أقبل محمد بن الحسن يطعن على أهل دار الهجرة، فقلت: على من تطعن، على البلد أم على أهله؟ والله لئن طعنت على أهله إنما تطعن في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وإن طعنت على البلدة فإنها بلدتهم التي دعا لهم رسول الله ﷺ أن يبارك لهم في صاعهم ومدهم، وحرَّمه كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة، لا يقتل صيدها، على أيهن تطعن؟!

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:٦٨).

إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليَّ الموضع!

قال محمد بن الحسن: أقمت على مالك بن أنس ثلاث سنين وكسراً، وكان يقول: إذا حدثتهم عن مالك امتلأ منزله وكثر الناس حتى يضيق عليهم الموضع؟! وإذا حدثهم عن غير مالك لم يجئه إلا اليسير، فكان يقول: ما أعلم أحداً أسوأ ثناء على أصحابكم منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليَّ الموضع وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكارهين.

يا محمد بن إدريس! عليك بطلب العلم

قال الحميدي: سمعت الشافعي يقول: كنت أطلب الشعر وأنا صغير وأكتب، فبينما أنا أمشي بمكة أو في ناحية من مكة إذ سمعت صائحًا يقول: يا محمد بن إدريس! عليك بطلب العلم، قال: فالتفت فلم أر أحداً، فرجعت فكنت أطلب العلم وأكتبه على الخرق وأطرحه في الزير حتى امتلأ[1].

قد بلغني يا أبا عبد الله ما كنت فيه

قال الشافعي: كنت يتيمًا ولم يكن لأمي شيء، فولي عم لي ناحية اليمن على القضاء فخرجت معه فلما قدمت من اليمن أتيت مسلم بن خالد الزنجي فسلمت عليه فلم يرد علي السلام وقال: أحدهم يجيئنا حتى إذا ظننا أنه يصلح أفسد نفسه، قال: فسرت إلى سفيان بن عيينة فسلمت عليه فرد السلام وقال: قد بلغني يا أبا عبد الله ما كنت فيه، وما بلغني إلا خير فلا تعد.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ٧٢-٧٥).

فقال: لا! إلا أنا

قال الشافعي: خرجت إلى العراق فصرت إلى محمد بن الحسن فكنت أناظر أصحابه، فشكوني إلى محمد بن الحسن فقالوا: إن هذا الحجازي يعيب علينا قولنا ويخطئنا، فذكر محمد بن الحسن ذلك، فقلت له: إنا كنا لا نعرف إلا التقليد، فلما قدمنا عليكم سمعناكم تقولون: لا تقلدوا واطلبوا الحق والحجج، فقال لي: فناظرني، فقلت: أناظر بعض أصحابك وأنت تسمع، فقال: لا! إلا أنا، فقلت: ذلك، قال: فتسأل أو أسأل؟ قلت: ما شئت، قال: فما تقول في رجل غصب من رجل عموداً فبنى عليه قصراً فجاءه مستحق فاستحقه؟ قلت: يخير بين العمود وبين قيمته، فإن اختار العمود هدم القصر وأخرج العمود فرده إلى صاحبه، قال: فما تقول في رجل غصب من رجل خشبة فبنى عليها سفينة ثم لجج بها في البحر، ثم جاء صاحبها فاستحقها؟ قلت: تقدم إلى أقرب المرسيين فيخير بين القيمة وبين الخشبة فإن أخذ القيمة وإلا نقض السفينة ورد الخشبة إلى صاحبها، قال: فماذا تقول في رجل غصب من رجل خيط إبريسم فخاط به خرجه، ثم جاء صاحبه فاستحقه؟ قلت: له قيمته، فكبر وكبر أصحابه وقالوا: تركت قولك يا حجازي، فقلت له: على رسلك أرأيت لو أن صاحب القصر أراد أن يهدم قصره ويرد العمود إلى صاحبه ولا يعطيه قيمته كان للسلطان أن يمنعه من ذلك؟ فقال: لا، فقلت: أرأيت أن صاحب السفينة لو أراد أن ينقض السفينة ويرد الخشبة إلى صاحبها أكان للسلطان أن يمنعه؟ قال: لا، قلت: أرأيت أن صاحب الخرج لو أراد أن ينقض خرجه ويخرج الخيط الذي خاط به الخرج ويرده على صاحبه أكان للسلطان أن يمنعه؟ قال: نعم! قلت: فكيف تقيس ما هو محظور بما هو ليس بممنوع؟!

فهذا أول بركة الشافعي

قال ابن عبد الأعلى: قال الرشيد يومًا للفضل بن الربيع وهو واقف على رأسه: يا فضل! أين هذا الحجازي؟ ـ كالمغضب ـ فقلت: هاهنا، فقال: علي به، فخرجت وبي من الغم والحزن لمحبتي للشافعي لفصاحته وبراعته وعقله فجئت إلى بابه فأمرت من دق عليه وكان قائمًا يصلي فتنحنح، فوقفت حتى فرغ من صلاته وفتح الباب، فقلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: سمعًا وطاعة، وجدد الوضوء وارتدى وخرج يمشي حتى انتهينا إلى الدار، فمن شفقتي عليه قلت: يا أبا عبد الله قف حتى أستأذن لك، فدخلت على أمير المؤمنين، فإذا هو على حالته كالمغضب وقال: أين الحجازي؟ فقلت: عند السير، فجئت إليه، فقام يمشي رويدًا ويحرك شفتيه، فلما أبصر به أمير المؤمنين قام إليه فاستقبله وقبل بين عينيه، وهش وبش وقال: لم لا تزورنا أو تكون عندنا؟ فأجلسه وتحدثا ساعة، ثم أمر له بصُرة دنانير، فقال: لا إرب لي فيه، قال الفضل: فأومأت إليه فسكت وأمرني أمير المؤمنين أن أرده إلى منزله، فخرجت والصرة تحمل معه، فجعل ينفقها يمنة ويسرة حتى رجع إلى منزله، قلت: قد عرفت محبتي لك، فبالذي سكن غضب أمير المؤمنين عنك إلا ما علمتني ما كنت تقول في دخولك معي عليه فقال: حدثني مالك عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الأحزاب: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (آل عمران:١٨)، إلى قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران:١٩)، ثم قال: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وديعة لي عند الله يؤديها إليَّ يوم القيامة، اللهم إني أعوذ بنور قدسك وعظيم بركتك وعظمة طهارتك، من كل آفة وعاهة، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارق يطرق بخير، اللهم أنت غياثي بك استغيث، وأنت ملاذي بك ألوذ،

وأنت عياذي بك أعوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة، أعوذ بك من خزيك، ومن كشف سترك ونسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك، أنا في حرزك ليلي ونهاري، ونومي وقراري، وظعني وإسفاري، وحياتي ومماتي، ذكرك شعاري، وثناؤك دثاري، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك تشريفًا لعظمتك، وتكريمًا لسبحات وجهك، آجرني من خزيك ومن شر عبادك، واضرب علي سرادقات حفظك، وأدخلني في حفظ عنايتك، وجد على منك بخير يا أرحم الراحمين، ، قال عبد الأعلى: قال الفضل: فحفظته فلم يغضب علي الرشيد بعد ذلك، فهذه أول بركة الشافعي.

يا ابن أخي! الفضيلة أولى بك من النافلة

قال الحميدي: كان الشافعي رجلاً شريفًا وكان يطلب اللغة والعربية والفصاحة والشعر في صغره، وكان كثيرًا ما يخرج إلى البدو ويحمل ما فيه من الأدب، فبينما هو ذات يوم في حي من أحياء العرب، إذ جاء رجل بدوي فقال له: ما تقول في امرأة تحيض يومًا وتطهر يومًا؟ فقال: لا أدري فقال له: يا ابن أخي! الفضيلة أولى بك من النافلة، فقال: إنما أريد هذا لذاك، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق وبه أستعين، ثم خرج إلى مالك بن أنس.

كثر الله في أهل بيتي مثلك

خرج الشافعي إلى اليمن، وقد خرج بها الخارجي على هارون الرشيد، وطعن الشافعي عليه وأعرض عمن ساعده، ورفع من أعرض عنه ولم يساعده، فبلغ ذلك الخارجي ما يقول فيه، فبعث إليه فأحضره عنده وهَمَّ بقتله، فلما سمع كلامه وتبين له شرفه وفضله وعفته، عفا عنه وعرض عليه قضاء اليمن

فامتنع عن ذلك، ثم أشخص هارون الرشيد جيشه إلى ذلك الخارجي فقبض عليه وحمل إلى بساط السلطان وحمل معه الشافعي، وأحضرا جميعًا بين يدي الرشيد، فأمر بقتلهما، فقال له الشافعي: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تسمع كلامي وتجعل عقوبتك من وراء لساني، ثم تضمني بعد ذلك إلى ما يليق بي من الشدة والرخاء فقال له: هات، فبين له القصة وعرفه شرفه، وذكر له كلامًا استحسنه هارون وأمره أن يعيده عليه، فأعاد تلك المعاني بألفاظ أعذب منها فقال له هارون: كثر الله في أهل بيتي مثلك.

سلوا هذا

قال أحمد بن محمد ابن بنت الشافعي: سمعت أبي وعمي يقولان: كان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والرؤيا يسأل عنها التفت إلى الشافعي فيقول: سلوا هذا.

جزاك الله خيرًا أبا عبد الله

قال إبراهيم بن الشافعي: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول في حديث النبي ﷺ: «**إنما هي صفية**»[1]، ما هذا من النبي ﷺ للتهمة، لو اتهماه لكفرا، هذا من النبي ﷺ على الأدب، يقول: إذا مر أحدكم على رجل يكلم امرأة وهي منه بنسب فيقل: إنها فلانة وهي مني بنسب، فقال ابن عيينة: جزاك الله خيرًا أبا عبد الله.

---

(١) حديث صحيح: (١٦٣٠) «رياض الصالحين» ـ طبعة دار السلام.

وددت أني كنت أحسن مثلها

قال أبا معين: سأل رجل سفيان بن عيينة عن من نفخ في صلاته ما كفارته؟ قال: فسأل سفيان الشافعي - وكان في مجلسه - فقال الشافعي: نفخ ن ف خ ثلاثة أحرف، يكفره سبحان هو أربعة أحرف لكل حرف من ذلك حرف من هذا وزيادة حرف، قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿الحسنة بعشر أمثالها﴾، فقال سفيان بن عيينة: وددت أني كنت أحسن مثلها.

اسكتوا إن تابعكم هذا لم يثبت لكم أحد

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كان محمد بن الحسن يقرأ عليَّ جزءًا، فإذا جاء أصحابه قرأ عليهم أوراقًا، فقالوا له: إذا جاء هذا الحجازي قرأت عليه جزءًا وإذا جئنا قرأت علينا أوراقًا؟ قال: اسكتوا إن تابعكم هذا لم يثبت لكم أحد[1].

ما رأيت أفقه منه

قال أبو ثور: سمعت بشر المريسي يقول: رأيت بالحجاز فتى لئن بقى ليكونن واحد الدنيا، فلما كان بعد ذلك قال لي بشر: إن الفتى الذي قلت لك قد قدم، اذهب بنا إليه، فسلمنا عليه ثم تساءلا، فجعل الشافعي يصيب وبشر يخطئ، فلما خرجنا قال: كيف رأيته؟ قال: قلت: كنت تخطئ وكان يصيب، قال: ما رأيت أفقه منه!

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ٩٢-٩٣).

اترك ما أخطأ فيه وخذ ما أصاب

قال الحميدي: كان أحمد بن حنبل يقيم عندنا بمكة على سفيان بن عيينة فقال لي ذات يوم: ههنا رجل من قريش يكون له هذه المعرفة وهذا البيان يمر بمائة مسألة يخطئ خمسًا أو عشرًا، اترك ما أخطأ فيه وخذ ما أصاب، قال: فكان لكلامه وقع في قلبي فجالسته فغلبتهم عليه، فلم يزل يقدم مجلس الشافعي.

بحقي عليك أيرق

قال الحميدي: خرجت مع الشافعي إلى مصر فكان هو ساكنًا في العلو ونحن في الأوسط فربما خرجت في بعض الليل فأرى المصباح بالغلام فيسمع صوتي فيقول: تفكرت في معنى حديث أو مسألة، فخفت أن يذهب علي، فأمرت بالمصباح وكتبت ما أملاني.

لكانت مروءته تمنعه

قال أحمد بن روح الزعفراني: كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقال له رجل: يا أبا زكريا ما تقول في الشافعي؟ قال: دع عنك هذا، لو كان الكذب له مطلقًا لكانت مروءته تمنعه من أن يكذب.

ما علمنا... حتى جالسنا الشافعي

قال محمد بن مسلم: قدمت من مصر فأتيت أحمد بن حنبل أسلم عليه قال: كتبت كتب الشافعي؟ قلت: لا، قال: فرطت، ما علمنا المجمل من

المفصل ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك إلى أن رجعت إلى مصر وكتبتها لما قدمت.

الشافعي وأحمد

قال ذئب: كنت مع أحمد بن حنبل في المسجد الجامع فمر حسين الكرابيسي فقال: هذا الشافعي رحمه الله لأنه من آل محمد ﷺ، ثم جئت إلى حسين فقلت: ما تقول في الشافعي؟ فقال: ما أقول في رجل أسدى إلى أفواه الناس الكتاب والسنة والاتفاق؟ ما كنا ندري ما الكتاب والسنة ولا الأولون حتى سمعت من الشافعي الكتاب والسنة والإجماع.

إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة

قال محمد بن الفضل البزار: سمعت أبي يقول: حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت معه في مكان واحد، فلما صليت الصبح درت في مسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلسًا مجلسًا طلبًا لأبي عبد الله أحمد بن حنبل حتى وجدته عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جمة مراجمية حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت: أبا عبد الله! تركت ابن عيينة وعنده الزهري وعمرو بن دينار ومن التابعين ما الله به عليم؟ قال: اسكت فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول ولا يضرك في دينك ولا في عقلك ولا فهمك إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي، قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي.

هذا يفوت وذاك لا يفوت

قال أبو ثوبة البغدادي: رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام، فقلت: يا أبا عبد الله! هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث فقال: هذا يفوت ـ يعني الشافعي ـ وهذا لا يفوت ـ يعني ابن عيينة ـ.

كنت تنهانا عنه وأنت اليوم تتبعه!؟

قال يحيى بن معين: لما قدم الشافعي كان أحمد بن حنبل ينهى عنه، فاستقبلته يومًا والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه، فقلت: يا أبا عبد الله أنت كنت تنهانا عنه وأنت تتبعه؟ قال: اسكت! إن لزمت البغلة انتفعت[1].

اكتب رأي مالك؟

قال الترمذي: كتبت الحديث تسعًا وعشرين سنة، وسمعت مسائل مالك وقوله ولم يكن لي حسن رأي في الشافعي، فبينا أنا قاعد في مسجد النبي ﷺ بالمدينة إذ غفوت غفوة فرأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! أكتب رأي أبي حنيفة؟ قال: لا، قلت: أكتب رأي مالك؟ قال: اكتب ما وافق سنتي، قلت له: أكتب رأي الشافعي؟ فطأطأ رأسه شبه الغضبان بقولي، وقال: ليس بالرأي، هذا رد على من خالف سنتي قال: فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعي.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:٩٨-٩٩).

مات النبي ﷺ في هذه الليلة

قال العزيزي: رأيت ليلة مات الشافعي في المنام كأنه يقال: مات النبي ﷺ هذه الليلة فكان يقول: أنت تقيل في مجلس عبد الرحمن الزهري في المسجد الجامع وكأنه يقال له: تخرج به بعد العصر فأصبحت فقيل لي: مات، وقيل لي: نخرج به بعد الجمعة، فقلت: الذي رأيته في المنام نخرج به بعد العصر، وكأني رأيت في النوم حين أخرج به كان معه سرير امرأة رثة السرير فأرسل أمير مصر أن لا يخرج به إلا بعد العصر فحبس إلى بعد العصر، قال العزيزي: شهدت جنازته فلما صرت إلى الموضع الواسع رأيت سريراً مثل سرير تلك المرأة الرثة السرير مع سريره.

فلما قدم علينا الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء

قال ابن إدريس: أخبرني رجل من إخواننا من أهل بغداد، قال: قال أحمد ابن حنبل: قدم علينا نعيم بن حماد وحثنا على طلب المسند، فلما قدم علينا الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء.

ففيه قول الشافعي

قال حميد البصري: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله! لا يصح فيه حديث، فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي، وحجته أثبت شيء فيه[1].

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠١-١٠٢).

لي إليك حاجة

قال النيسابوري: تزوج إسحاق بن راهوية بمرو بامرأة رجل كان عنده كتب الشافعي فتوفي، لم يتزوج بها إلا لحال كتب الشافعي، فوضع جامعه الكبير على كتاب الشافعي، ووضع جامعه الصغير على جامع الثوري الصغير، وقدم أبو إسماعيل الترمذي نيسابور وكان عنده كتب الشافعي عن البويطي فقال له إسحاق بن راهويه: لي إليك حاجة أن لا تحدث بكتب الشافعي ما دمت بنيسابور، فأجابه إلى ذلك فما حدث بها حتى خرج.

فتركنا بدعتنا واتبعناه

قال أبو ثور: لما ورد الشافعي العراق جاءني حسين الكرابيسي ـ وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي ـ فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه: فقم بنا نسخر به، فذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول: قال الله وقال الرسول ﷺ حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا واتبعناه.

مالي ومالك يا شافعي؟!

قال الشافعي: رأيت أبا حنيفة في المنام وعليه ثياب وسخة وهو يقول: مالي ومالك يا شافعي، مالي ومالك يا شافعي؟!

لم أرو لك شيئًا ولم يحدثني أحد

قال هارون بن سعيد: لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلب في اقتدارة على المناظرة، وقال الشافعي: ناظرت رجلاً بالعراق فكل ما جاء بمعنى أدخلت عليه معنى آخر فيبقى، فتناظرنا في شيء فقلت له: من قال بهذا؟ قال: أمسك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فلم يزل يعد حتى عد العشرة، فبلغ كل مُبلغ، وكان حولنا قوم لا معرفة لهم بالرواية، فاجتمعنا بعد ذلك المجلس فقلت له: الذي رويت عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من حدثك به؟ فقال: لم أرو لك شيئًا ولم يحدثني أحد، وإنما قلت لك: أمسك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي[1].

مناظرة الشافعي

قال يونس: سمعت الشافعي يقول: ناظرت يومًا محمد بن الحسن فاشتدت مناظرتي إياه فجعلت أوداجه تنتفخ وأزراره تنقطع زرًا زرًا.

الظلمة أجلى للقلب

قال أبو محمد بن أخت الشافعي: قالت أمي: ربما قدَّمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح إلى بين يدي الشافعي، وكان يستلقي ويتفكر ثم ينادي: يا جارية هلمي المصباح، فتقدمه ويكتب ما يكتب، ثم يقول: ارفعيه فقلت لأبي محمد: ما أراد برد المصباح؟ قال: الظلمة أجلى للقلب.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠٤).

وذلك أن النبي ﷺ كان أميًا

قال الشافعي: لا يقبل قرشي بمكة ولا يظهر أمره حتى يخرج منها، وذلك أن النبي ﷺ لم يظهر أمره حتى خرج من مكة، ولا يكاد يجود شعر القرشي، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال للنبي ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ (يس:٦٩)، ، ولا يكاد يجود شعر القرشي، وذلك أن النبي ﷺ كان أميًا.

الشافعي والسنن والآثار

قال الشيخ أبو نعيم: كان الإمام الشافعي رضي الله عنه للآثار والسنن تابعًا وفي استنباط الأحكام والأقضية رائعًا وبالمقاييس المبنية على الأصول قائلاً، وعن الآراء الفاسدة المخالفة للأصول عادلاً.

الشافعي ومن أفطر يومًا في رمضان

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: من أفطر يومًا من رمضان قضى اثنا عشر يومًا لأن الله عزَّ وجلَّ اختار شهرًا من اثنى عشر شهرًا قال الشافعي: يقول الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر:٣)، فمن ترك الصلاة ليلة القدر وجب عليه أن يصلي ألف شهر على قياسه.

سبحان الله!! أجعلتني وثنيًا؟

قال الربيع: سأل رجل من أهل بلخ الشافعي عن الإيمان، فقال للرجل: فما تقول أنت فيه؟ قال: أقول: إن الإيمان قول، قال: ومن أين قلت؟ قال: من

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (مريم:٩٦)، فصار الواو فصلاً بين الإيمان والعمل فالإيمان قول والأعمال شرائعه، فقال الشافعي: وعندك الواو فصل؟ قال: نعم، قال: فإذًا كنت تعبد إلهين إلهًا في المشرق وإلهًا في المغرب لأن الله تعالى يقول: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن:١٧)، فغضب الرجل وقال: سبحان الله!! أجعلتني وثنيًا؟ فقال الشافعي: بل أنت جعلت نفسك كذلك، قال: كيف؟ قال: بزعمك أن الواو فصل، فقال الرجل: فإني أستغفر الله مما قلت، بل لا أعبد إلا ربًا واحدًا، ولا أقول بعد اليوم إن الواو فصل، بل أقول: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال الربيع: فأنفق على باب الشافعي مالاً عظيمًا وجمع كتب الشافعي وخرج من مصر سنيًا.

فكان مخلوقًا خلق بمخلوق

قال أبو يعقوب البويطي: سمعت الشافعي يقول: إنما خلق الله الخلق بكن فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلق بمخلوق، وهذا ردًا على من زعم أن القرآن ـ كلام الله ـ مخلوق[1].

قصة الشافعي مع بشر المريسي وأمه

جاءت أم بشر المريسي إلى الشافعي فقالت له: يا أبا عبد الله إن ابني هذا يحبك وإن ذكرت عنده أجلك، فلو نهيته عن هذا الرأي الذي هو فيه فقد عاداه الناس عليه؟ فقال الشافعي: أفعل، فجاء بشر فقال له الشافعي: اخبرني إلى ما تدعو إليه أفيه كتاب ناطق، وفرض مفترض، وسنة قائمة، ووجب على الناس

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٠٩-١١١).

البحث فيه والسؤال؟ فقال بشر: ليس فيه كتاب ناطق، ولا فرض مفترض، ولا سنة قائمة، ولا وجب على السلف البحث فيه، إلا أنه لا يسعنا خلافه، فقال له الشافعي: قد أقررت على نفسك الخطأ، فأين أنت عن الكلام في الأخبار والفقه، وتوافيك الناس عليه وتترك هذا؟ فقال: لنا فيه تهمة، فلما خرج بشر قال الشافعي: لا يفلح.

أخزاهم الله

قال الحسين بن علي: سئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال: سل هذا حفصًا الفرد ـ وكان من أئمة علم الكلام ـ وأصحابه أخزاهم الله.

كما يفرون من الأسد

قال الشافعي: لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد، كما قال: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله، خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

الشافعي والقدرية

رأى الشافعي يومًا قومًا يتجادلون في القدر بين يديه، فقال الشافعي: في كتاب الله المشيئة دون خلقه، والمشيئة إرادة الله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠)، فأعلم خلقه أن المشيئة له، وكان يثبت القدر، وقال في كتابه: من حلف باسم من أسماء الله فعليه كفارة لأنه حلف بغير مخلوق.

ديته بيضة

قال الشافعي: إياكم والنظر في الكلام فإن رجلاً لو سئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها أو سئل عن رجل قتل رجلاً فقال: ديته بيضة كان أكبر شيء أن يضحك فيه، ولو سئل عن مسألة من الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة[1].

رأيت ما فعل بي الشافعي أمس؟!

قال الربيع: حضرت الشافعي وعن يمينه عبد الله بن عبد الحكم وعن يساره يوسف بن عمرو بن يزيد، وحفص الفرد حاضراً، فقال لابن عبد الحكم: ما تقول في القرآن؟ قال: أقول كلام الله، قال: ليس إلا؟ ثم سأل يوسف بن عمرو فقال له مثل ذلك فجعل الناس يومئون إليه أن يسأل الشافعي فقال حفص الفرد: يا أبا عبد الله! الناس يحيلون عليك، قال: فقال: دع الكلام في هذا فقالوا للشافعي: ما تقول يا أبا عبد الله في القرآن؟ قال: أقول: كلام الله غير مخلوق، فناظره وتحاربا في الكلام حتى كفره الشافعي فقام حفص مغضبًا، فلقيته من الغد في سوق الدجاج بمصر، فقال لي: رأيت ما فعل بي الشافعي أمس؟ كفرني، قال: ثم مضى ثم رجع فقال: أما إنه مع هذا ما أعلم إنسانًا أعلم منه.

مثل المخربق

قال أحمد بن سنان: سمعت الشافعي يقول: مثل الذي نظر في الرأي ثم تاب عنه مثل المخربق الذي عولج حتى برأ بأعقل ما يكون قد هاج به.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١١٢-١١٣).

البدعة بدعتان

قال حرملة بن يحيى: سمعت الشافعي يقول: البدعة بدعتان، بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: «نعمت البدعة هي».

عد إلى ما كنت

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧)، قال: في العبرة عندكم إنما يقول لشيء لم يكن: كن، فيخرج مفصلاً بعينيه وأذنيه وأنفه وسمعه ومفاصله، وما خلق الله فيه من العروق، فهذا في العبرة أشد من أن يقول لشيء قد كان: عد إلى ما كنت، فهو إنما أهون عليه من العبرة عندكم، ليس أن شيئًا يعظم على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ[1].

الذين يتقوَّلون على الصحابة

قال الربيع بن سليمان بن المرادي: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: ما ساق الله هؤلاء الذين يتقولون في عليٍّ وفي أبي بكر وعمر وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ إلا ليجري الله لهم الحسنات وهم أموات.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١١٤).

أهل صفين

قال الشافعي: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين؟ قال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني فيها.

الشافعي وولاية الخلفاء

قال الشافعي: أجمع الناس على أبي بكر، واستخلف أبو بكر عمر، ثم جعل - أي عمر - الشورى على ستة، على أن يولوها واحداً منهم، فولوها عثمان، قال الشافعي: وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر فولوه رقابهم.

فطحن حفصاً الفرد وقطعه

قال حرملة بن يحيى: اجتمع حفص الفرد ومصلان الأباضي عند الشافعي في دار الجروي وأنا حاضر، واختصم حفص الفرد ومصلان في الإيمان فاحتج على مصلان وقوى عليه وضعف مصلان، فحمى الشافعي وتقلد المسألة على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فطحن حفصاً الفرد وقطعه.

قصة الشافعي مع المختار الكذاب

قال الشافعي: دخل رجل على المختار بن أبي عبيد الله فوجد عنده وسادتين واحدة عن يمينه وأخرى عن شماله، فلما رآه دعا له بوسادة، فقال: أليس هاتان الوسادتان موضوعتين؟ فقال: إن هذه قام عنها جبريل، والأخرى قام عنها

ميكائيل، فقال الشافعي: الصادقون إنما كان يأتيهم واحد والمختار كذاب يزعم أنه يأتيه اثنان[١].

فهذا أكبر من ذاك

قال الشافعي: ما أعطى الله تعالى نبيًا ما أعطى محمدًا ﷺ، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى، فقال: أعطى محمدًا الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيء له المنبر فلما هيئ له المنبر حَنَّ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذاك.

اللهم بغنائك عنه وفقره إليك اغفر له

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي وحضر شيئًا، فلما شحبنا عليه نظر إليه وقال: اللهم بغناءك عنه وفقره إليك اغفر له.

الشافعي ورأي أبي حنيفة

قال أحمد بن سنان: سمعت الشافعي يقول: ما شبهت رأي أبي حنيفة إلا بخيط سحاب، إذا مددته كذا أخرج أصفر، وإذا مددته كذا أخرج أحمر.

ما أحد إلا وله محب ومبغض

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: ما أحد إلا وله محب ومبغض، فإن كان لابد من ذلك فليكن المرء مع أهل طاعة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١١٦).

ولا كابرني.. إلا سقط من عيني

قال الشافعي: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني أحد على الحق ودفع الحجة الصحيحة إلا سقط من عيني ورفضته.

قصة الشافعي مع أبي ثور

قال أبو ثور: كنت من أصحاب محمد بن الحسن فلما قدم الشافعي علينا جئت إلى مجلسه شبه المستهزئ، فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فقلت: هكذا، فقال: أخطأت، فقلت: هكذا، فقال: أخطأت، فقلت: وكيف أضع؟ قال: حدثني سفيان عن سالم عن أبيه: «أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع»[1]، قال أبو ثور: فوقع في قلبي من ذلك، فجعلت أزيد في المجيء إلى الشافعي وأقصر من الاختلاف إلى محمد بن الحسن فقال: أجل . . الحق معه[2].

لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك

قال الشافعي: ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه وقال الشافعي للربيع: لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك!

---

(١) رواه البخاري من رواية أبي حميد الساعدي.
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١١٨).

الشافعي والعلم

قال الربيع بن سليمان: دخلت على الشافعي وهو عليل فسأل عن أصحابنا وقال: يا بني! لوددت أن الخلق كلهم تعلموا كتبي ولا ينسب إليَّ منه شيء؛ وفي رواية: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني.

أيكم أصاب فله دينار

قال الحميدي: ربما ألقى الشافعي عليَّ وعلى ابنه عثمان المسألة فيقول: أيكم أصاب فله دينار.

وخدمة العالم أفلح

قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما طلب أحد العلم بالتعمق وعز النفس فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العالم أفلح.

لو دعوت الله علي لعلمت أنك لم ترد إلا الخير

قال الربيع: مرض الشافعي فدخلت فقلت: يا أبا عبد الله! قوى الله ضعفك، فقال: يا أبا محمد لو قوى الله ضعفي على قوتي أهلكني، قلت: يا أبا عبد الله! ما أردت إلا الخير، فقال: لو دعوت الله علي لعلمت أنك لم ترد إلا الخير.

الشافعي والعقل

قال حرملة: قيل للشافعي: أخبرنا عن العقل يولد به المرء؟ فقال: لا ولكنه يلقح من مجالسة الرجال ومناظرة الناس[١].

كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟!

قال الشافعي: دخل ابن العباس على عمرو بن العاص فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت وقد ضيعت من ديني كثيراً وأصلحت من ديني قليلاً، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت، والذي أفسدت هو الذي أصلحت لقد فزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمجنون بين السماء والأرض لا أرتقي بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن عباس، قال ابن عباس: هيهات! صار ابن أخيك أخاك، ولا يشاء أن يبكي إلا بكيت، قال: كيف يؤمر برحيل من هو مقيم؟ فقال: من جنيها من حينها ابن بضع وثمانين تقنطني من رحمة الله؟ قال: ثم رفع يديه فقال: اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى ترضى، قال: هيهات أبا عبد الله! تأخذ جديداً وتعطي خلقًا، قال: من لي منك يا ابن عباس؟ ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها.

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١١٨-١٢٠).

أقبل الحق ممن جاءك به

قال الشافعي: قال رجل لأُبيٍّ بن كعب: عظني ولا تكثر علي فأنسى، فقال له: اقبل الحق ممن جاءك به وإن كان بعيدًا بغيضًا، واردد الباطل على من جاءك به وإن كان حبيبًا قريبًا.

لا تجعل لسانك بذلة

قال الشافعي: قيل لأبي بن كعب: يا أبا المنذر عظني! فقال: واخ الإخوان على قدر تقواهم، ولا تجعل لسانك بذلة لمن لا يرى فيه، ولا تغبط الحي إلا بما تغبط الميت.

ويحك يا ابن عمامة!!

قال الشافعي: قدم ابن عمامة على عمرو بن العاص فألفاه صائمًا وقد أحضر إخوانه طعامًا وصلى صلاة فأتقنها، ثم أتى بمال فقال: اذهبوا بهذا إلى فلان وهذا إلى فلان حتى فرقه فقال له ابن عمامة: يا أبا عبد الله! أرأيت صلاة أحكمتها وطعامًا أطعمته إخوانك وأتاك مال أنت أحق به من غيرك فقلت: اذهبوا بهذا إلى فلان وبهذا إلى فلانة حتى أتيت عليه بِمَ ذاك يا أبا عبد الله؟ قال: ويحك يا ابن عمامة! فلو كانت الدنيا من الدين أخذناها وإياه ولو كانت تنحاز عن الباطل أخذناها وتركناه، فلما رأيت ذلك كذلك خلطنا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى أن يرحمك الله.

بلغني عنك كذا وكذا

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي ذات يوم: يا يونس إذا بُلِّغت عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بالشك، ولكن ألقه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، وأجدر أن تسمي المبلغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا يزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا بعذر فاقبل منه، وإن لم يرد ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبله، وإن لم يذكر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها، ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه، وقد كان الرجل الصالح يقول: رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ولا يبخس حقًا لي، يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب، ومفارقته سهل وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجرًا عظيمًا فيسهل طرحه عليه ويصعب إخراجه على الرجال فهذه وصيتي لك.. والسلام.

قبول السعاية أضر من السعاية

قال الشافعي: قبول السعاية أضر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز، والساعي ممقوت إذا كان

صادقًا لهتكه العورة وإضاعته الحرمة، ومعاقب إن كان كاذبًا لمبارزته الله بقول البهتان وشهادة الزور.

الشافعي ومن تنقص من محمد بن الحسن

قال أحمد بن الوزير: تنقص رجل من محمد بن الحسن عند الشافعي فقال له: مهما تلحظت بمضغة طالما لفظها الكرام[1].

فإن المستمع شريك القائل

قال أحمد بن يحيى الوزير: خرج الشافعي يومًا من سوق القناديل متوجهًا إلى حجرته فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم، فالتفت إلينا الشافعي فقال: نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادُّها كما شقي بها قائلها.

أنفع الذخائر

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان.

العلم ما نفع

قال الربيع: سمعت الشافعي مرارًا كثيرة يقول: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٢٢-١٢٣).

وملاك ذلك كله التقوى

قال الربيع: قال الشافعي: يا ربيع! رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أن من تعلم القرآن جلَّ في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جلَّ رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

الشافعي وقراءة القرآن

قال بحر بن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى نتساقط بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة من حسن صوته.

طبع فؤادي على اللوم

قال الشافعي: طبع فؤادي على اللوم، فمن شأنه التقرب لمن يبعد منه، والتباعد ممن يقرب منه[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٢٤).

هو من أحَدِّ الناس عقلاً

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: اصطنع رجل إلى رجل من العرب صنيعة فوقعت منه، فقال له: آجرك الله من غير أن يبتليك، فقال: هو من أحد الناس عقلاً.

العقول مضطرة إلى قبول الحق

قال الشافعي: كلُّ ما قلت لكم فلم تشهد عليه عقولكم وتقبله وتراه حقًا فلا تقبلوه، فإن العقول مضطرة إلى قبول الحق.

فاحكوها عني

قال الحسين: قال لنا الشافعي: إن أصبتم الحجة في الطريق مطروحة فاحكوها عني فإني قائل بها.

وهو سيد العلم

قال محمد بن بنت الشافعي: سألت أبي فقلت: يا أبه! أي العلم أطلب؟ فقال: يا بني أما الشِّعر فيضع الرفيع ويرفع الخسيس، وأما النحو فإذا بلغ الغاية صار مؤدبًا، وأما الفرائض فإذا بلغ صاحبها فيها غاية صار معلم حساب، وأما الحديث فتأتي بركته وخيره عند فناء العمر، وأما الفقه فللشاب والشيخ وهو سيد العلم.

بذل كلامنا صون كلام غيرنا

قال الشافعي: بذل كلامنا صون كلام غيرنا، قال أبو محمد: يعني بذله لكلامه في الحلال والحرام، والرد على من خالف السنة صون لكلام أشكاله أدناهم هذه المرونة.

من يحمل العلم جزافًا

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: وذكر من يحمل العلم جزافًا، قال: مثل هذا حاطب أقبل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري، قال الربيع: يعني الذين لا يسألون عن الحجة من أين؟ يكتب العلم وهو لا يدري على غير فهم فيكتب عن الكذاب وعن الصدوق وعن المبتدع وعن غيره، فيحمل عن المبتدع والكذاب الأباطيل فيصير ذلك نقصًا لإيمانه وهو لا يدري[1].

ليس أن يحدث عنهم بالكذب

قال الشافعي: معنى حديث النبي ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[2]، أي: لا بأس أن تحدثوا عنهم بما سمعتم وإن استحال أن يكون في هذه الأمة مثل ما روى أن ثيابهم تطول، والنار التي تنزل من السماء فتأكل القربان ليس أن يحدث عنهم بالكذب وما لا يروى.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٢٥).

(٢) حديث صحيح: راجع «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني (المجلد السادس، ٢٩٢٦).

قصة حبس الشافعي مع الشيعة

قال محمد بن الشافعي: حبس الشافعي مع قوم من الشيعة بسبب التشيع، فوجه إليه يومًا فقال: ادع فلانًا المعبر، فدعوته فقال: رأيت البارحة كأني مصلوب على قناة مع علي بن أبي طالب، فقال: إن صدقت رؤياك شهرت وذكرت وانتشر أمرك، ثم حمل إلى الرشيد معهم فكلمه ببعض ما جلبه به فخلى عنه.

فوت العلماء

قال الشافعي: ما اشتد عليَّ فوت أحد من العلماء مثل فوت ابن أبي ذئب والليث بن سعد.

ما شربته إلا حارًا

قال أبو محمد قريب الشافعي: عاتب محمد بن إدريس الشافعي ابنه عثمان فقال فيما قال له ووعظه به: يا بني! والله لو علمت أن الماء البارد يقلل من ديني ما شربته إلا حارًا.

كدت اليوم تقتل نفسًا

قال أبو محمد قريب الشافعي: حدثتني أمي قالت: كانت له هنة فوضعت يدها على فم الصبي وخرجت مسرعة، وكان الباب بعيدًا، فلم تبلغ الباب حتى اضطرب الصبي، قالت: فلما استيقظ الشافعي قالت له أم عثمان: ويحك يا ابن إدريس ـ وهو يمدح نفسه ـ كدت تقتل اليوم نفسًا فاحمر وانتفخ وجعل يقول

لها: وكيف ذاك؟ فأخبرته الخبر، فحلف أن لا يقيل مدة طويلة إلا والرحا عند رأسه تطحن، فكان إذا أراد أن يقيل جئنا بالرحا حتى تطحن عند رأسه[١].

ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة

قال أبو ثور: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال فقلت له ـ وقلما كان يمسك الشيء من سماحته ـ: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لولدك من بعدك، فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال ما فعل به؟ فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأهلها، أكثرها قد رفعت علي، ولكن قد بنيت بمكة بيتًا يكون لأصحابنا ينزلون فيه إذا حجوا.

ما شبعت

قال أبو محمد: قال الشافعي: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة أطرحها، قال أبو محمد: يعني فطرحتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

ما أغربها

قال رجل: سمعت الشافعي يقول: كنت في اليمن فرأيت أعماوين يتقاتلان وأبكم يصلح بينهما.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٢٦).

الكفاءة في الدين

قال الحارث بن مسكين: لقد أحببت الشافعي وقرب من قلبي لما بلغني أنه كان يقول: الكفاءة في الدين لا في النسب، لو كانت الكفارة في النسب لم يكن أحد من الخلق كفؤًا لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولا بنات رسول الله ﷺ، وقد زوج ابنتيه من عثمان وزوج أبا العاص بن الربيع.

أنا عربي لا تسألوني عن هذا

قال الربيع: سئل الشافعي عن مولى أراد أن يتزوج عربية؟ فقال الشافعي: أنا عربي لا تسألوني عن هذا.

الشافعي والسودان

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما نقص من إيمان السودان إلا لضعف عقولهم، ولولا ذلك لكانوا لونًا من الألوان من الناس من يشتهيه ويفضله على غيره[1].

أقبل على شأنك

قال الربيع: سئل رجل الشافعي عن سنه، فقال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه؛ سأل رجل مالك عن سنه، فقال: أقبل على شأنك.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٢٨-١٢٩).

إن بلت فيه نشطت للنساء!

قال الشافعي: كان ابن أبي يحيى عنيفًا، فجاءنا ذات يوم فقال: اطلبوا لي فأسًا لم يدخل هراوته فيه، فقلنا له: ما تصنع به؟ قال: قيل لي: إن بلت فيه نشطت للنساء!

أظنك أحمق

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال الشافعي لرجل: أظنك أحمق، قال الرجل: إن أحمق ما يكون الشيخ إذا أعجب بعلمه.

أخبئتها لأخيك الشيطان

قال الشافعي: قال رجل للشعبي: عندي مسائل شداد خبأتها لك. فقال: أخبئها لأخيك الشيطان.

سعة علم الشافعي

قال يونس بن عبد الأعلى: لو احتج الشافعي على هذا العمود لقصمه، وكان الشافعي يصنع كتابًا من غُدوِّه إلى الظهر من حفظه من غير أن يكون في يده أصل.

آجرك الله من غير أن يسألك

قال الشافعي: وقف أعرابي على قوم فقال: رحمكم الله من أبناء السبيل وأيضًا من سفر، رحم الله امرأ أعطى من سعة وواسى من كفاف، فأعطاه رجل درهمًا، فقال له: آجرك الله من غير أن يسألك.

فما برح حتى وهبها كلها

قال الحميدي: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءة في موضع خارجًا من مكة، فكان الناس يأتونه فما برح حتى وهبها كلها[1].

أنت في حلٍّ من مالي

قال الربيع: كان للشافعي فرس، فباعه بستين دينارًا، فقال لي: بحقي عليك أن تبايع ابن دكين فتأخذ منه الدنانير، فقلت: إي والله أصلحك الله! فذهبت فأخذت ستين دينارًا ثم جئت فقلت: هذه الدنانير، فقال: أمسكها معك. فلما كان مجلسه انصرفت ثم يحدث فقال: تعقبنا معك وذهبت وتركتنا فلما قام إلى بيته تبعته حتى دخل البيت وقعدت على الباب، فكتب إليَّ رقعة: إن رأيت أن تشتري لنا كذا وكذا. ولم أكن أعرف من هذا شيئًا. فكان هذا ابتداء أحرى معه، ووافق نزول الشافعي منزله وأنا أكتب حسابه، فقال: تفسد قراطيسك، والله ما نظرت لك في حساب، وقال لي مرارًا: أنت في حِلٍّ من مالي.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٢٩-١٣٠).

بيني وبينه معذرة

قال الربيع: سأل رجل الشافعي فقال: إني رجل من أمري كيت وكيت، تأمر لي بشيء؟ وما كان معه يومئذ ديناراً فأعطاه إياه، فقال له بعض جلسائه: هذا لو أعطيته درهماً أو درهمين - والدينار يساوي ١٢ درهم - كان كثيراً، فقال: إني أستحي أن يطلب مني رجل بيني وبينه معذرة فلا أعطيه.

فرغ همه وقوي متنه

قال عبد الله بن محمد: أمر الرشيد للشافعي بألف دينار فقبلها، فأمر الرشيد خادمه سراج باتباعه، فما زال يفرقها قبضة قبضة حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة، فدفعها إلى غلامه وقال: انتفع بها. فأخبر سراج بذلك الرشيد فقال: فرغ همه وقوي متنه.

وناظر بشر المريسي فقطعه

قال الحميدي: كان محمد بن إدريس الشافعي لما أدخل على أمير المؤمنين هارون الرشيد وناظر بشر المريسي فقطعه، خلع هارون الرشيد على الشافعي وأمر له بخمسين ألف درهم، فانصرف إلى البيت وليس معه شيء، قد تصدق بجميع ذلك ووصل به الناس[1].

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٠-١٣١).

يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟!

قال المزني: قدم الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه، وإذا هو قد نزل منزلاً وإلى جانبه رجل جالس وفي حجره عدد، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له: يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟ فأنشأ يقول:

وأنزلني طول النوى دار عونة ❊❊❊ مجاورتي من ليس مثلي يشاكله
تحملته حتى يقال سجية ❊❊❊ ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

امرأتي ولدت الساعة

قال المزني: ما رأيت رجلاً أكرم من الشافعي، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره في مسألة حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس فقال: مولاي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس. فأخذه منه وأدخله في كمه فأتاه رجل من الحلقة، فقال: يا أبا عبد الله! ولدت امرأتي الساعة ولا شيء عندي. فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شيء.

أمرناك أن تشتري لنا لحمًا، فاشتريت سمكًا

قال الربيع: أعطاني الشافعي دراهم فقال: يا ربيع اشتر لنا بهذه الدراهم لحمًا، قال: فذهبت فاشتريت سمكًا. فلما رجعت قال لي الشافعي: أمرناك أن تشتري لنا لحمًا فاشتريت سمكًا. فقلت: هكذا قضى، فقال: يا ربيع! اليوم نأكل شهوتك وغدًا تأكل شهوتنا.

إفلاسات الشافعي

قال يونس بن عبد الأعلى: قال الشافعي: أفلست من دهري ثلاث إفلاسات، وربما أكلت التمر بالسمك[1].

ألا تعجبون من غلامي هذا؟

قال ابن وهب: سمعت الشافعي يقول: ألا تعجبون من غلامي هذا؟ دخلت إلى المنزل فاستقبلني وإذا على رقبته جذع، فقلت: ما هذا؟ فقال: يا مولاي أليس من أصل مقالتك أن من كان معه شيء فهو أحق به، حتى تقام عليه البينة فيه؟ هذا الجذع هو في يدي فأقم البينة أنه لك. قال الشافعي: فضحكت وخليته.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٢-١٣٣).

أصلحك الله! هذه ثيابك

قال محمد بن العباس: سمعت إبراهيم بن بريه يقول ـ وكان جليسًا للشافعي ـ: دخلت مع الشافعي حمامًا وخرجت قبله، وكان الشافعي طوالاً جسيمًا نبيلاً. وكان إبراهيم جسيمًا طويلاً. فلبس إبراهيم ثياب الشافعي ولبس الشافعي ثياب إبراهيم، والشافعي لا يعلم أنها ثياب إبراهيم، وإبراهيم لا يعلم أنها ثياب الشافعي، فانصرف الشافعي إلى منزله فنظر فإذا هي لإبراهيم، فأمر بها فطويت وبخِّرت وجعلت في منديل، ونظر إبراهيم فطواها وجعلها في منديل ثم راحا جميعًا، فجعل الشافعي ينظر إلى إبراهيم ويتبسم إليه، فلما صليت العصر قال إبراهيم: أصلحك الله! هذه ثيابك. فقال الشافعي: وهذه ثيابك، والله لا يعود إليَّ منها شيء ولا يلبسها غيرك. فأخذهما إبراهيم جميعًا.

السخاء والكرم

قال يحيى بن علي: سمعت الشافعي يقول: السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقهما بدعة.

الشافعي والكرم الطائي

قال الشافعي: كان أبو حاتم سخيًا ـ يعني حاتم الطائي ـ وكان يضع الأشياء مواضعها وكان حاتم مبذرًا، فاجتمع يومًا عند أبيه أصحابه فشكا إليهم حاتمًا فقال: والله ما أدري ما أصنع به، ما أخذ شيئًا إلا بذره. واستشار أصحابه: ما الحيلة فيه؟ قال: فاجتمع رأيهم على أن لا يعطيه سنة شيئًا. قال: فقام أبوه على

ذلك، قال: فذكر له عن ابنه حاتم ما هو فيه من الضر والضيق، قال: فبعث إليه بمائة ناقة حمراء فلما وقفت عليه قال حاتم: من أخذ شيئًا فهو له. فأخذوها كلها، فدعاه أبوه فقال: يا بني ما تصنع؟ قال: والله يا أبت لقد بلغ مني الجوع شيئًا لا يسألني أحد شيئًا إلا أعطيته إياه.

ما كذبت قط

قال الشافعي: ما كذبت قط، ولو كذبت كذبت في هذا، في شيء مدح به أهل المدينة أو مالك، وقال الشافعي: ما حلفت بالله صادقًا ولا آثمًا.

إياك أسأل، أصلحك الله

قال يونس بن عبد الأعلى: سئل الشافعي عن مسألة وأنا حاضر، فقال: يا يونس أجب فيها. فقلت: إياك أسأل أصلحك الله، قال: أجب فيها، قلت: يلتمس منك الجواب، إن الجواب فيها بعيد غير أني أعدله علة وأكره أن أجيب عن مسألة فيقال لي: من أين قلت؟ فأسكت.

احملوني على حمار فإنه من يموت عليه كريم

قال الشافعي: لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوصِ، قال. أوصي المساكين بالمسألة، فقيل له: أوص في مالك، قال: مالي للذكور دون الإناث، قيل: ليس هذا قضاء الله، قال: لكني أقوله، ثم قال: احملوني على حمار فإن من يموت عليه كريم.

بقدر ما نفهم عنه

قال يونس بن عبد الأعلى: كان الشافعي يكلمنا بقدر ما نفهم عنه، ولو كلمنا بحسب فهمه ما عقلنا عنه.

مرت بنا سنون ثلاث

قال الشافعي: وقف أعرابي على عبد الملك بن مروان فسلم ثم قال: رحمك الله، مرت بنا سنون ثلاث، أما إحداها فأهلكت المواشي، وأما الثانية فأنضبت اللحم، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم، وعندك مال، فإن كان لله فأعط عباد الله، وإن كان لك فتصدق فإن الله يجزي المتصدقين. فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يحسنون يسألون هكذا ما حرمنا أحدًا.

لترون متاعكم في الصحراء

قال الشافعي: نزل قوم بامرأة من أهل اليمن فجعلت تخرج لهم شيئًا، قال: فقلنا لها: إن معنا شيئًا. قالت: فما تريدون؟ تنزلون عندي وتأكلون طعامكم؟ لا كان هذا أبدًا، والله لو فعلتم هذا لترون متاعكم في الصحراء[1].

فصب له بالقلة

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا رأت العامة الرجل يناظر الرجل فأعلى صوته وجعل يضحك منه فصب له بالقلة.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٦-١٣٧).

فكن من أهل طاعة الله

قال المزني: سمع رجل رجلاً يمدح أخًا له فقال: إن كان ليملأ العين جمالاً، والأذن بيانًا، فقال له رجل: أعد عليَّ، يرحمك الله!. قال: نعم! أعيد عليك من غير تهاتر مني ولا نكاية لك ولا تزكية له. قال: وسمعت الشافعي يقول: ما أحد ينجم إلا له من يمدح ويذم، فإذا لم يكن بد فكن من أهل طاعة الله.

وكان الشتاء قيظا

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: لما قتل عبد الله بن الزبير وجد في تابوت له حق، وفتح فإذا فيه بطاقة مكتوب فيها: إذا غاض الكرم غيضًا، وفاض اللئام فيضًا، وكان الشتاء قيظًا، وكان الولد غيظًا، فاغبر غبر، في جبل وعر، خير من ملك بني النضير.

فلعلك حداد

قال الربيع: رأيت الشافعي وجاءه رجل يسأله مسألة، فقال: من أهل صنعاء أنت؟ قال: نعم!، قال: فلعلك حداد؟ قال: نعم!، قال: وجاءه رجل من أهل مصر يوم الجمعة عليه ثياب الجمعة يسأله عن مسألة، فقال له: أنت نساج؟ فقال: عندي أجراء.

يا بغيض

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول في ذكر هؤلاء القوم الذين يبكون عند القراءة، فقال: قرأ رجل وإنسان حاضر: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد:٤)، فجعل الرجل يبكي، فقيل له: يا بغيض! هذا موضع البكاء؟!

ما تعدون البلاغة فيكم؟

قال الشافعي: وقف أعرابي على ربيعة وهو يسجع في كلامه فأعجب ربيعة كلام نفسه فقال: يا أعرابي ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال: خلاف ما كنت فيه منذ اليوم.

ما أبعدك من ذلك

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول لابن مقلاص: يا أبا علي، أتريد أن تحفظ الحديث وتكون فقيهًا؟ هيهات، ما أبعدك من ذلك[1].

ما حرفة الرجل؟

قال الحميدي: كنت مع الشافعي ومحمد بن الحسن يتفرسان الناس، فمر رجل فقال محمد بن الحسن للشافعي: أحرز. فقال الشافعي: قد رابني أمره، إما أن يكون نجارًا أو خياطًا. قال الحميدي: فقمت إليه فقلت: ما حرفة الرجل؟ فقال: كنت نجارًا وأنا اليوم خياط.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٨-١٣٩).

ليس العاقل

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما.

ما رأيت الدنيا

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: دخلت العراق؟ قلت: لا! قال: ما رأيت الدنيا.

النصيحة

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه[1].

حدثني بالأصل وجئتكم بالتفسير

قال الشافعي: خرجنا من مكة في سنة جدباء، فلما صرنا في بعض الطريق عارضنا رجل على جمل، فقلنا: من يقوم إليه فيسأله عن عيالنا؟ فقام إليه رجل ممن كان في الرحل معنا، فلم يلبث إلا يسيرًا ثم جاء إلينا فجعل يحدثنا عنه بكلام كثير، فقلنا: حدثك الرجل بكلام يسير وأنت تحدثنا منذ اليوم، فقال: حدثني بالأصل وجئتكم بالتفسير.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٩-١٤٠).

لا تقوم الساعة حتى تصير للكع بن لكع

قال الشافعي: كان حماد البربري واليًا علينا بمكة فزادوه اليمن، فقلت لأمي: ما ندري وما أملي لهذا الرجل، ولي مكة وزِيْدَ اليمن. فقالت: يا بني إن الحجر إذا سما كان أشد سقوطًا. فقلت: يا أمه! صدق رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تصير للكع بن لكع»[1]، فقالت: يا بني وأين لكع بن لكع؟ رحم الله لكع بن لكع منذ زمن طويل.

حكمة الشافعي

قال عبد الله بن وهب: سمعت الشافعي يقول:

وانطقت الدراهم بعد صمت ❊❊❊ أناسًا بعدما كانوا سكوتًا

فما عطفوا على أحد بفضل ❊❊❊ ولا عرفوا لمكرمة ثبوتًا

من يرى الجن؟

قال القشيري: سمعت الشافعي يقول: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: ٢٧).

أي شيء هذا؟

قال الشافعي: قال ابن عباس لرجل: أي شيء هذا؟ فأخبره، قال: ثم أراه شيئًا أبعد منه، فقال: أي شيء هذا؟ قال: انقطع الطرف دونه، قال: فكما جعل لطرفك حد ينتهي إليه، كذلك جعل لعقلك حد ينتهي إليه.

عجائب الشافعي

قال الشافعي: رأيت بالمدينة ثلاث عجائب لم أر مثلها قط، رأيت رجلاً فلس في مد من نوى فلسه القاضي، ورأيت رجلاً له سن شيخ كبير خضيب يدور على بيوت القيان ماشيًا يعلمهم الغناء، فإذا حضرت الصلاة صلى قاعدًا، ورأيت رجلاً أعسر يكتب بشماله وهو يسبق من يكتب بيمينه.

وما في الدنيا مثل مصر

قال الشافعي: يقول الناس: ما العراق، وما في الدنيا مثل مصر للرجال، لقد قدمت مصر وأنا مثل الصبي ما أتحرك، فما برح من مصر حتى ولد له جاريته دنانير أبو الحسن وتزوج الشافعي امرأة زهرية بنت أبي زرارة الزهري ثم أنه طلقها بعد أن دخل بها.

إياك والرواية عن الأحياء

قال محمد بن عبد الحكم: ذاكرت الشافعي يومًا بحديث وأنا غلام، فقال: من حدثك به؟ قلت: أنت، قال: في أي كتاب؟ قلت: كتاب كذا وكذا، فقال: ما حدثتك به من شيء فهو كما حدثتك، وإياك والرواية عن الأحياء.

قصة الشافعي مع الأحمق

قال الحميدي: سمعت الشافعي يقول: خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها، ثم لما حان انصرافي مررت على رجل في الطريق

وهو محتب بفناء داره، أزرق العين ناتىء الجبهة هناط، فقلت له: هل من منزل؟ فقال: نعم، قال الشافعي: وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة فأنزلني فرأيته أكرم ما يكون من رجل، وبعث إلي بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف، فجعلت أتقلب الليل أجمع، ما أصنع بهذه الكتب إذا رأيت النعت في هذا الرجل؟ فرأيت أكرم رجل، فقلت: أرمي بهذه الكتب، فلما أصبحت قلت للغلام: أسرج، فأسرج فركبت ومررت عليه وقلت له: إذا مررت بمكة فأسأل عن محمد بن إدريس الشافعي فقال لي الرجل: أمولى لأبيك أنا؟ قال: قلت: لا! قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟ فقلت: لا، فقال: أين ما تكلفته البارحة؟ قلت: وما هو؟ قال: اشتريت لك طعامًا بدرهمين، وكراء الفرش واللحاف درهمين، قال: وعطرًا بثلاث دراهم وعلف لدابتك بدرهمين، قال: قلت: يا غلام أعطه، فهل بقي من شيء؟ قال: كراء البيت فإني قد وسعت عليك وضيقت على نفسي، قال الشافعي: فغبطت بتلك الكتب، فقلت له: لك من شيء؟ قال: امض أخزاك الله، فما رأيت قط شرًا منك.

من يتقي العار

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقي الله فاصنعها إلى من يتقي العار، قال: وسمعت الشافعي يقول: ما رفعت أحدًا فوق منزلته إلا وضع مني بمقدار ما رفعت منه.

من حكيم إلى حكيم

قال الشافعي: كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي قد أوتيت علمًا فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

كفى بالعلم فضيلة

قال الشافعي: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شرًا أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه.

ما أفلح سمين قط

قال الحسن بن إدريس: سمعت الشافعي يقول: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل له: ولِمَ؟ قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين، إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فيعقد الشحم.

الشافعي ومؤدب الأمراء

قال نهشل بن كثير: أدخل الشافعي يومًا إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين، ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله! هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهو مؤدبهم فلو أوصيته بهم، فأقبل الشافعي على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.

الزوجة الجديدة

قال الشافعي: تزوج رجل امرأة ـ وله قديمة ـ قال: وكانت جارية الجديدة تمر بباب القديمة فتقول:

وما تستوي الرجلان رجل صحيحة ❊❊❊ ورجل رمى فيها الزمان فشلت

ثم تمر بها فتقول أيضًا:

وما يستوي الثوبان ثوب به البلا ❊❊❊ وثوب بأيدي البائعين جديد

فأنكرت على الشافعي أن يفتي

قال الربيع: كنت عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فقرأها ووقع فيها ومضى الرجل، فتبعته إلى باب المسجد فقلت: والله لا تفوتني فتيا الشافعي فأخذت الرقعة من يده فوجدت فيها:

سل العالم المكي هل من تزاور ❊❊❊ وضمة مشتاق الفؤاد جناح

فإذا قد وقع الشافعي:

فقلت: معاذ الله أن يذهب التقى ❊❊❊ تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع: فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت: يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا شابًا؟ فقال لي: يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر ـ يعني شهر رمضان ـ وهو حدث السن، فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطئ؟ فأفتيته بهذه الفتيا، قال الربيع: فتبعت الشافعي فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي، فما رأيت فراسة أحسن منها[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٥٠).

يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟!

قال المزني: قدم الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه، وإذا هو قد نزل منزلاً وإلى جانبه رجل جالس وفي حجره عدد، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له: يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟ فأنشأ يقول:

وأنزلني طول النوى دار غربة ❊❊❊ مجاورتي من ليس مثلي يشاكله
تحملته حتى يقال سجية ❊❊❊ ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

فليشهد الثقلان أني رافض

يحكى أن الشافعي عابه بعض الناس لفرط ميله إلى أهل البيت وشدة محبته لهم إلى أن نسبه إلى الرفض فأنشأ الشافعي في ذلك يقول:

قف بالمحصب من منى فاهتف بها ❊❊❊ واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضا حب آل محمد ❊❊❊ فليشهد الثقلان أني رافض

الشافعي وأصحاب مالك

قال النيسابوري: حدثني بعض أصحابنا أن محمد بن إدريس الشافعي لما دخل مصر أتاه جلة أصحاب مالك وأقبلوا عليه فابتدأ يخالف أصحاب مالك في مسائل فتنكروا له وحصروه فأنشأ يقول:

أأنثر درًا وسط سارحة النعم ❊❊❊ أأنظم منثورًا لراعية الغنم
لعمري لئن ضيعت في شر بلدة ❊❊❊ فلست مضيعًا بينهم غرر الحكم
فإن فرج الله اللطيف بلطفه ❊❊❊ وصادفت أهلاً للعلوم والحكم

بثثت مفيداً واستنفدت وداده ⁂ وإلا فمكنون لدي ومكنتم
فمن منح الجهال علمًا أضاعه ⁂ ومن منع المستوجبين فقد ظلم

جنونك مجنون

قال الربيع: كنت عند الشافعي فجاء رجل فكلمه بكلام، فأنشأ الشافعي يقول:

جنونك مجنون ولست بواجد ⁂ طبيبًا يداوي من جنون جنون[1]

وكأن له عينين في قفاه

قال الشافعي: دخل رجل من بني كنانة على معاوية بن أبي سفيان فقال له: هل شهدت بدرًا؟ قال: نعم! قال: مثل من كنت؟ قال: غلام قمدود مثل عطباء الجلمود، قال: فحدثني ما رأيت وحضرت، قال: ما كنا إلا شهودًا كأغياب، وما رأينا ظفرًا كان أوشك منه، قال: فصف لي ما رأيت، قال: رأيت في سرعان الناس علي بن أبي طالب غلامًا شابًا ليثًا عبقريًا يفري الفرى، لا يثبت له أحد إلا قتله، ولا يضرب شيئًا إلا هتكه، لم أر من الناس أحدًا قط أنفق عليه، يحمل حمله، ويلتفت التفاته كأنه ثعلب زواغ، وكأن له عينين في قفاه، وكأن وثوبه وثوب وحش، يتبعه رجل، معلم بريش نعامه كأنه جمل يحطم يبسًا لا يستقبل شيئًا إلا هده، ولا يثبت له شيء إلا ثكلته أمه، شجاع أبله، يحمل بين يديه، ولا يلتفت وراءه، قيل: هذا حمزة بن عبد المطلب عم محمد ﷺ، قال: فرأيت ماذا؟ قال: رأيت ما وصفت لك ورأيت جدك عتبة وخالك الوليد حين قتلا، ورأيت ما وصفت لمن حضر من أهلك لم يعفو عنه،

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٤٧).

قال: فكنت من المنهزمين؟ قال: نعم ما انهزمت عشيرتك فإني كنت منهم؟ قال: لما انهزمت كنت في سرعانهم، قال: فأين رحت، قال: ما رحت حتى نظرت إلى الهضاب، قال: لقد أحسنت الهرب، قال: فعلى ما احتبسه أبوك وبعده ما اتعظت بمصرع كمصرع جدك وخالك وأخيك، قال: إنك لغليظ الكلام، قال: إني حمل يفر، قال: إنكم تبغضون قريشًا، قال: أما من كان منهم أهله فنبغضه، قال: ومن الذين هم أهله؟ قال: من قطع القرابة واستأثر بالفيء وطلب الحق فلما أعطيه منعه، قال: ما فيكم خير من أن يسكت عنك، قال: ذاك إليك، قال: قد فعلت، قال: قد سكت[1].

الشافعي والغرباء

قال البويطي: إن الشافعي كتب يقول: أن انصب نفسك للغرباء وأحسن خلقك لأهل خاصتك، فإني كثيراً ما كنت أسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرموها ❊❊❊ ولن تكرم النفس التي لا تهينها

تفقه يعلمك الله

قال حسين الكرابيسي: سمعت الشافعي يقول: كنت امرأ أكتب الشعر فآتي البوادي فأسمع منهم، قال: فقدمت مكة فخرجت منها وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من خلفي من الحجبة، فقال: رجل من قريش ثم ابن عبد المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلمًا، ما

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٥).

الشعر؟ هل الشعر إذا استحكمت فيه إلا قصدت معلمًا، تفقه يعلمك الله، قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي.

الشافعي والكلاب

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة ❊❊❊ وإننا لا نرى مما نرى أحدًا

إن الكلاب لتهدأ في مرابضها ❊❊❊ والناس ليس بهاد شرهم أبدًا

فانجع بنفسك واستأنس بوحدتها ❊❊❊ تبقى سعيدًا إذا ما كنت منفردًا

هو ذاك يا بني!

قال الشافعي: ذكروا أن معاوية بن أبي سفيان اعتمر فلما قضى عمرته وانصرف بالأبواء فاطلع في بئرها العادية فضربته اللقوة فاعتم بعمامة سوداء أسبلها على شقه ثم استوى جالسًا، فأذن للناس فدخلوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد.. فإن ابن آدم يعرض للبلاء ليؤجر ويعاقب بذنب أو يعتب ليعتب، ولست مخلوًا من واحدة من ثلاث فإن ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي، وأرجو أن أكون منهم، وإن عوفيت فقد عوفي الصالحون قبلي، وما آمن أن أكون منهم، وإن مرض عضو مني فما أحصى صحتي وما عوفيت منه أطول، أنا اليوم ابن ستين سنة، فرحم الله عبدًا دعا لي بالعافية، فوالله لئن عتب على بعض خاصتكم فإني لحدث على عامتكم، ثم بكى، فارتفع الناس عنه فقال له مروان بن الحكم: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: وقفت والله عما كنت عليه عروفًا وكثر الدمع في عيني وابتليت في أحبتي، وما يبدو مني، ولولا

هواي في يزيد ابني لانصرف قصدي، فلما اشتد وجعه كتب إلى ابنه يزيد: أدركني وسرج له البريد، قال: فخرج يزيد وهو يقول:

جاء البريد بقرطاس يحث به *** فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في صحيفتك *** قالوا الخليفة أمسى مثبتًا وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا *** كأنما مضر أركانها انقلعا
ثم انبعثنا إلى حوض مزممة *** نرمي العجاج بها لا تأملي سرعا
فما نبالي إذا بلغن أرجلنا *** ما يأت منهن بالمرماة أو طلعا
أودي ابن هند وأودي المجد يتبعه *** كانا جميعًا خليطًا حطتان معا
أغر أملح يستسقي الغمام به *** لو قارع الناس عن أحلامهم قرعا
لا يرفع الناس ما أوهى وإن جهدوا *** يومًا لديه ولا يوهون ما رقعا

قال: فانتهى يزيد إلى الباب وبه عثمان بن عنبة، قال: فقال له: مالك بجنب عن أمير المؤمنين؟ قال: فأخذ بيده فأدخله على معاوية فإذا هو مغمى عليه، قال: فانكب عليه يزيد ثم التفت إلى عثمان بن عنبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون يا عثمان.

لو فات شيء لفات أبو *** حيان لا عاجز ولا وكل
الحول القلب إلا ريب فما *** تنفع وقت المنية الحول

قال: صه، فرفع معاوية رأسه فقال: هو ذاك يا بني! والله ما أصبحت أتخوف على شيء فعلته إلا ما فعلته من أمرك، فإذا أنا مت فانظر كيف يكون، صحبت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وتبعته بإداوة من ماء أصبه عليه فقال: «ألا أكسوك؟»[1]، قلت: بلى يا رسول الله! فكساني إحدى قميصيه الذي يلي جلده، وقد أخذ رسول الله ﷺ من شعره وأظفاره فأخذت وهو في موضع

(١) الحديث صحيح: وراجع «معاوية رضي الله عنه الخليفة المفترى عليه» رسالة قيمة. للشيخ/ سعيد عبد العظيم.

كذا، فإذا أنا مت فأشعرني ذلك القميص، دون كفني، واجعل ذلك الشعر والأظفار في فمي وفي منحري، فإن يقع شيء فذاك وإلا فإن الله غفور رحيم، قال: ثم توفي معاوية[1].

أصلح الله الأمير

قال الشافعي: دخلت على بعض ولد الخلافة وابن دأب عنده فسلمت عليه فقال: ممن أنت؟ فقلت له: من ولد عبد المطلب، فأعجلني وقال: المطلب بن أبي وداعة؟ قلت: لا، قال: المطلب بن حنطب؟ قلت: لا.

فقال: فضرب ابن دأب يده على فخذه، وقال: أصلح الله الأمير، هذا والله ابن المطلب بن عبد مناف الذي كان أبواه أبويك وأخواه هاشم وعبد شمس يتوسطانه لشرفه في الجاهلية، يضع له هذا رداءه فيتكئ عليه، فإذا أعياه وضع له الآخر رداءه فاتكأ عليه.

هذا لك

قال الشافعي: كنت صبيًا بمكة فرأيت في المنام رجلاً ذا هيبة يؤم الناس في المسجد الحرام فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس يعلمهم، قال: فدنوت منه فقلت: علمني، فأخرج ميزانًا من كمه فأعطاني فقال: هذا لك، قال الشافعي: وكان ثم مُفسر فعرضت عليه، فقال: إنك تبلغ وتصير إمامًا في العلم وتكون على السبيل والسنة لأن إمام المسجد الحرام أفضل الأئمة وفوقهم، وأما الميزان فإنك تعلم حقيقة الشيء في نفسه.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٥٤-١٥٥).

بعد بسم الله الرحمن الرحيم خطأ كله!

قال الشافعي: حضرت مجلسًا ومحمد بن الحسن بالرقة وفيه جماعة من بني هاشم وقريش وغيرهم ممن ينظر في العلم، فقال محمد بن الحسن: قد وضعت كتابًا لو علمت أن أحدًا يرد علي منه شيئًا تبلغنيه الإبل لأتيته، قال: فقلت له: قد نظرت في كتابك هذا، فإذا بعد بسم الله الرحمن الرحيم خطأ كله، قال: وما ذاك؟ قلت له: قلت: قال أهل المدينة وليس تخلو في قولك: «قال أهل المدينة»، من أن تكون أردت جميع أهل المدينة، أو تكون أردت بقولك: «قال أهل المدينة» مالك بن أنس على انفراده، فإن كنت أردت بقولك: قال أهل المدينة جميع أهل المدينة فقط أخطأت لأن علماء أهل المدينة لم يتفقوا على ما حكيت عنهم، وإن كنت أردت بقولك مالك بن أنس على انفراده وجعلته أهل المدينة فقد أخطأت، لأن المدينة من علمائها من يرى استتابة مالك فيما خالفه فيه، فأي الأمرين قصدت له فقد أخطأت، قال: فتبين لأهل المجلس ذلك وسر به أكثر من حضر من أهل الحجاز[1].

امض بارك الله فيك

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم فقال لي: يا غلام، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ممن أنت؟ قلت: من رهطك يا رسول الله، قال: ادن مني فدنوت، فأخذ من ريقه ففتحت فمي، فأمر من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال: امض بارك الله فيك، فما أذكر أني لحنت في حديث بعد ذلك ولا شعر[2].

---

(١) البيهقي «المناقب» (جـ١، ص: ٨٢، ٩٩، ١٠١).
(٢) الفخر الرازي «توالي التأسيس» (ص: ٥٢).

يا فتى عَزَّ علي أن لا تكون في العلم والفقه

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: خرجت من مكة فلزمت هزيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ بلغتها، وكانت أفصح العرب، فأقمت معهم مدة أرحل برحيلهم وأنزل بنزلهم فلما أن رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر أيام الناس فمر بي رجل من الزمريين فقال لي: يا أبا عبد الله عز علي أن لا تكون في العلم والفقه هذه الفصاحة والبلاغة، قلت: من بقى ممن يقصد؟ فقال: مالك بن أنس سيد المسلمين، قال: فوقع ذلك في قلبي، وعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته، ثم دخلت على والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس فقدمت المدينة، فبلغت الكتاب فلما قرأ والي المدينة الكتاب قال: يا بني، إن أمشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيًا راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك، فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه، فقلت: إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر، فقال: هيهات، ليت أني إن ركبت أنا ومن معي وأصابنا تراب العقيق يقضي حاجتنا، فواعدته العصر وقصدنا، فتقدم رجل وقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إنني بالباب.

فدخلت فأبطأت ثم خرجت، فقالت: إن مولاي يقول: إن كانت مسألة فارفعها إلي في رقعة حتى يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والي مكة مهم، فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسي فوضعته، فإذا بمالك شيخ طوال قد خرج وعليه المهابة وهو متطيلس.

فدخل إليه الوالي الكتاب فبلغ إلى قوله: إن هذا رجل شريف من أمره وحاله، فتحدثه وتفعل وتصنع فرمى بالكتاب من يديه وقال: يا سبحان الله، قد صار علم رسول الله ﷺ بالوسائل؟!

قال: فرأيت الوالي وهو يهابه أن يكلمه، فتقدمت إليه فقلت: أصلحك الله، إني رجل مطلبي، من حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، قلت: نعم وكرامة، فقال: إذا كان غدًا تجيء وتجيء من يقرأ لك الموطأ فقلت: إني أقرأ ظاهرًا، قال: فغدوت إليه وابتدأت، فكلما تهيت مالكًا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي، يقول: يا فتى زد، حتى قرأته عليه أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك بن أنس رضي الله عنه[1].

قصة الرحلة في طلب العلم

قال الشافعي: طلبت هذا الأمر على ضيق من ذات اليد، كنت أجالس أهل العلم والحفظ ثم اشتهيت أن أدون بعض ما أسمع، وكنا ننزل بالقرب من شعب الخيف بمكة، وكنت أتبع العظام والأكتاف وأكتب فيها، حتى جمعت من ذلك في دارنا جُبين، ثم إن رجلاً من المطلبيين ولي بعض ناحية من اليمن، فمشت أمي إلى بني أعمامي، وسألتهم أن يمشوا إليه ويسألوه استصحابي ففعل ذلك، وصحبته إلى ناحية اليمن، وكان بها من قواد هارون رجل يقال له: حماد البربري فكتب إليه يخوفه شأن العلويين، ويذكر له شأني، ويقول: إن معه

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ٦٩).

رجلاً يقال له: محمد بن إدريس يعمل بلسانه ما لا يعمل المقاتل بسيفه، فإن كانت لك بالحجاز حاجة فاحملهم منها، فورد الكتاب فحملت أنا والطالبي وجماعة معنا فأدخلنا على هارون عشرة عشرة، وقد مضى أكثر الليل، فجعل يقيم منا واحدًا واحدًا، فيتكلم من وراء الستر فيأمر بضرب عنقه حتى انتهى ذلك إلي، فقلت: يا أمير المؤمنين عبدك وخادمك: محمد بن إدريس فقال: اضرب عنقه، فقلت: يا أمير المؤمنين أقول وتسمع ويدك الباسطة، وسلطانك المنيع، ولا يفوتك مني ما تريد، قال: قل، قلت: يا أمير المؤمنين، كأنك اتهمتني بالانحراف عنك والميل إلى هؤلاء القوم؟ وسأضرب لك مثلك ومثلهم معي: ما يقول أمير المؤمنين في رجل له ابنا عم، أحدهما خلطه بنفسه، وأشركه في نسبه وزعم أنه مثله وأن ماله حرام عليه إلا بإذنه، وأن ابنته حرام عليه إلا بتزويجه وأنه يرى له عليه كما يرى له لنفسه، والآخر زعم أنه دونه وأنه في النسب أعلى منه وأنه عبده وأن ابنته أمته وأنها تحل له بغير إذنه وأن ماله فيء له، فلمن تراه يتولى أمير المؤمنين؟ فهذا أنت وهؤلاء، قال: واستعادني القول ثلاث مرات، كل ذلك أرد عليه بمعنى واحد بألفاظ مختلفة، قال: احبسوه، فحبست في دار العامة وكنت لا أدري أحدًا آنس به إلا محمد بن الحسن وكنت أميل إليه للفقه وآمل أن يشفع لي عند السلطان، فحضر يومًا فأقبل يذم المدينة، ويضع من أهلها ويذكر أصحابه ويرفع من أقدارهم ويذكر أنه وضع على أهل المدينة كتابًا يقول: إني لو وجدت أحدًا ينقض من كتابي حرفًا تنقلني إليه أكباد الإبل لَسِرْتُ إليه فرأيت وجوه المهاجرين والأنصار، وإنها لتسود مما يسمعون في المدينة وأهلها، ورأيت أصحاب محمد بن الحسن، وإن وجوههم لتشرق وتبيض مما يسمعون من مدح أصحابهم، فتمثلت بين أمرين: بين أن يزداد السلطان علي غضبًا وأبيض وجوه المهاجرين والأنصار، وبين أن أسكت عن ذلك رجاء أن

يكون محمد بن الحسن يشفع لي عند السلطان فاخترت رضا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في ذلك الموضع فجثوت بين يديه، ثم قلت: أبا عبد الله أراك أصبحت تهجو المدينة وتذم أهلها؟!

فإن كنت أردتها فإنها حرم رسول الله ﷺ وأمنه ودار الهجرة، بها نزل الوحي وفيها خلق ﷺ وبها قبره، وسماها رسول الله ﷺ طابة، فيها روضة من رياض الجنة، ولئن كنت أردت أهلها فهم أصحاب رسول الله ﷺ وأصهاره وأنصاره الذين مهدوا للإيمان وحفظوا الوحي وجمعوا السنن، ولئن كنت أردت من القوم رجلاً واحدًا وهو مالك بن أنس رضي الله عنه فما عليك لو سميت من أردت ولم تذكر المدينة بما ذكرت؟! فقال: ما أردت إلا مالك بن أنس، قلت: وقد قرأت كتابك الذي وضعته عليهم فوجدت ما بين قولك: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد» خطأ.

ووجدتك ترد فيه من كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مائة وثلاثين موضعًا: فقلت في رجلين تداعيا جدارًا ولا بيِّنة بينهما: إن الجدار لمن تليه أنصاف اللبن ومعاقد القمط، وقلت في متاع البيت يدعيه الزوجان: ما كان يصلح للرجال فهو للرجل وما كان يصلح للنساء فهو للمرأة، وقلت في الرجل يجحد ولدًا جاءت به امرأته ويقول: استعرتيه ولم تلديه، أنه تقبل شهادة القابلة، وقلت في الرفاف يدعيها الساكن ورب الحانوت: «إن كانت ملزقة فهي للساكن، وإن كانت مبنية فهي لرب الحانوت»، فقلت في هذا وأمثاله ـ وذكرت له الأحكام كلها ـ بغير بينة ولا يمين، وقد قضى رسول الله ﷺ، وقول علي بن أبي طالب، وقول الحكام عندنا بالحجاز، وأنت تقول هذا برأيك وترد علينا السنة؟ وذكرت له أشياء مما خالفنا وترك السنن، وكان على الدار يومئذ هرثمة فكتب الخبر، وابيضت وجوه الأنصار والمهاجرين لما سمعوا في دار الهجرة من نصرة الحق، وعلت محمد بن

الحسن وأصحابه القترة، فلما دخل هرثمة على أمير المؤمنين سأله عن خبر الدار، فقرأ عليه الخبر فقال هارون: وما أنكر محمد بن الحسن أن يقطعه رجل من عبد مناف؟ اخرج إلى الشافعي وابدأه برضائي عنه قبل السلام واقرأ عليه مني السلام وأخبره أني قد أمرت له بخمسة آلاف دينار، فقال هرثمة: لولا أن الخليفة لا يساوي لأمرت لك بمثلها وقد أمرت لك بأربعة آلاف دينار، فألق غلامي، قال الشافعي: جزاك الله عنا خيرًا، لولا أني لا أقبل جائزة إلا ممن هو فوقي لقبلت جائزتك فعجل ما أمر به أمير المؤمنين، فأعطاه هرثمة المال، فأخذه ودعا بالحجام فأخذ من شعره وأعطاه خمسين دينارًا، وأخذ ما بقى فجعل يصره صرة ويكتب به رقاعًا فيقسمه في أهل مكة القرشيين الذي بالحضرة فما انصرف إلى منزله إلا بأقل من مائة دينار وأمره هرثمة بالتأهب للدخول على أمير المؤمنين فأصلح من شأنه، فدخل ومحمد بن الحسن عند أمير المؤمنين فتكلما بين يديه فقال له الشافعي: ما تقول في القسامة؟ فقال: استفهام.

فقال: كفر والله يا أمير المؤمنين، يزعم أن رسول الله ﷺ يحتاج أن يستفهم يهود.

فقال هارون: السيف والنطع، فلما أمر بهما هالني، فقلت: يا أمير المؤمنين، لئن جحدها في هذا الموضع فلقد قال بها في غيره، ولكن المتناظران إذا تناظرا كاد كل واحد منهما أن يدفع عن نفسه ما تقوم به الحجة لصاحبه، فكأنما سرى عن أمير المؤمنين فصفح عنه.

فلما خرجنا من عنده قال: يا أبا عبد الله لقد أحللت دمي، فقلت: لئن فعلنا لقد خلصناك[1].

---

(١) البيهقي «مناقب الشافعي» (جـ١، ص: ١١١-١١٧).

قد خلقك الله الآن

قال الشافعي: لم يزل محمد بن الحسن عندي عظيمًا جليلاً أنفقت على كتبه ستين دينارًا حتى جمعني وإياه مجلس عند هارون الرشيد، فابتدأ محمد بن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إن أهل المدينة خالفوا كتاب الله عزَّ وجلَّ نصًا وأحكام رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين وقضوا بشاهد ويمين.

قال الشافعي: فأخذني ما قرب وما بعد فقلت: إني أراك قد قصدت لبيت النبوة ومن أنزل القرآن فيهم وأحكمت الأحكام فيهم وقبر رسول الله ﷺ بين أظهرهم، ثم عمدت تهجوهم، أرأيت أنت بأي شيء قبلت شهادة القابلة وحدها حتى ورثت من خليفة ملك الدنيا مالاً عظيمًا؟

فقال: بعلي بن أبي طالب! قلت: فعلي إنما رواه عنه رجل مجهول يقال له: عبد الله بن نجي ورواه عن عبد الله بن جابر الجعفي وكان يتهم بالرجعة، وقال سفيان بن عيينة: دخلت على جابر فسألني عن شيء من أمر الكهنة.

ونحن معنا قضاء رسول الله ﷺ يعني بشاهد ويمين مع قضاء علي بن أبي طالب بالكوفة ورأيت أنت أي شيء تقول في القسامة؟ فقال: استفهام، قال: قلت: وتزعم أن رسول الله ﷺ كان يحكم في أمته بالاستفهام، يسألهم ثم لا يحكم لهم، قال: فسمعها هارون فدعا بالسيف والنطع.

قال الشافعي: فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا قوله وإنه ليحكم بخلاف هذا أعني أنهم يحلفون ويغرمون الدية، ولكن المتناظران إذا تناظرا أحب كل واحد منهما أن يدخل على صاحبه حجة يكيده بها، قال: فسري عن هارون فلما خرجنا قال لي: كنت قد أشطت بدمي، فقلت: قد خلقك الله الآن[1].

---

(١) الخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» (جـ٢، ص: ١٧٨).

اختيار الجباة

قال الشافعي: أراد هارون أمير المؤمنين أن يوجه جباة أمناء إلى اليمن فجعلوا يطلبون فجمع ستة أنفس وضممت إليهم وأنا أصغرهم سنًا فوجهنا إلى اليمن في جباية خراجها فجعلنا نأخذ من أغنيائها فنرد على فقرائها استعمال حديث النبي ﷺ حين بعث معاذًا إلى اليمن فقيل لأمير المؤمنين: إن الذين بعثتهم لا يوجهون إلى بيت المال شيئًا، قال: فاغتاظ لذلك فقال: يشخصون إلينا، فردونا: فلما رجعنا أحسست بالقتل، أو بأمر عظيم فتنورت وتكفنت وأصبحت صائمًا وأدخلنا عليه وأجلسنا من بعيد، ثم جعل يقدم منا واحدًا واحدًا إليه فيقام بين يديه فيقول له: أين كنت؟ فيقول: بعثني أمير المؤمنين في جباية خراج اليمن، فيقول: أين ما جئتم به؟ فيقول: فعلنا ما أمر به رسول الله ﷺ، فيقول له الخليفة: فنحن لسنا بشيء ادخل ذلك البيت ـ لبيت أراه لبود ـ فيدخل فأحس بوقع رأسه حتى جاءتني نوبة، فأقمت إقامة هالتني حتى نصبوني بين يديه فقال لي: أين كنت؟ فقلت: باليمن، فقال: فماذا فعلت في جباية خراجها؟ فتكلمت بما حضرني من الكلام فأخذ قضيبًا من خيرزان بيده وأخذ ينكت به في الأرض إذ دخل أبو يوسف، فقال: الشاب الشافعي جاءك يا أمير المؤمنين هذا ابن عمك، هذا الشاب الذي كنت أصفه لك، قال: ولم يدع شيئًا من نشر الجميل وحسن الثناء، فيقول له أمير المؤمنين: اسكت فوالله ما رأيت عربية قط أعذب مما رأيتها من هذا الرجل، ثم أعاد عليه المسألة فقال: أين كنت؟ فتكلمت فقدمت وأخرت وجئته بلغات، والمعنى ما كنت قلته في المرة الأولى، فلما فرغت أخذ أبو يوسف أيضًا يمدحني ويثني عليَّ فقال له أمير المؤمنين: فإنا قد عفونا عنك، فأقمت، فأخرجت فلما بلغنا موضع كذا

وكذا من القصر إذا برسولٍ قد جاءني، فلما رأيتهم قلت: إنا لله قد بدا له، أو لأبي يوسف فسلموا علي وقالوا: قد عفا عنك أمير المؤمنين وأمر لك بمال فحمدت الله حتى بلغت الباب، إذا برسل آخرين فلما رأيتهم اغتممت حتى دنوا فسلموا علي وقالوا: اقصد قصر كذا وكذا، فإنه أمر لك بمال، وأمرك أن تنزل القصر، وأبو يوسف يقرأ عليك السلام ويقول: صنف الكتب فإنك أولى من صنف في زمانك وإياك أن تتكلم في مسألتين أعرفهما من قولك، فإنهما هكذا وأشار إلى حلقه ـ يعني الذبح ـ فأما الواحدة منهما فأمهات الأولاد وأما الأخرى فإيمان المكره.

قال: فتكلمت فيهما، وحين أقمت من بين يديه لم تكن لي همة إلا أن يكون آخر كلامي: لا إله إلا الله[1].

قصة قضاء اليمن

قال الشافعي: لما دخلت على هارون الرشيد فقلت بعد المخاطبة: خلفت باليمن ضائعة تحتاج إلى الحاكم، قال: فانظر رجلاً ممن يجلس إليك حتى توليه قضاءها، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم أقبل عليه فقال: إني كلمت أمير المؤمنين أن يولي قاضيًا باليمن، وإنه أمرني أن أختار رجلاً ممن يختلف إلي وإني قد اخترتك فتهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليك قضاء اليمن، فأقبل عليه أحمد بن حنبل فقال: إنما جئتك إليك أقتبس منك العلم، أتأمرني أن أدخل لهم في قضاء اليمن؟ ووبخه فاستحيا الشافعي[2].

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٤٥).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص: ١٥٦).

لله درك يا محمد!!

قال معمر بن شبيب: سمعت المأمون يقول لمحمد بن إدريس الشافعي: يا محمد لأي علة خلق الله الذباب؟ قال: فأطرق ثم قال: مذلة للملوك يا أمير المؤمنين! قال: فضحك المأمون وقال: يا محمد رأيت الذباب يسقط على خدي؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين ولقد سألتني وما عندي جواب، وأخذني من ذلك الزمع، فلما رأيت الذبابة قد سقطت منك بموضع لا يناله من معه عشرة آلاف رمح فانفتح لي فيها الجواب! فقال: لله درك يا محمد!![1].

قصة البيعة للأمين والمأمون

قال محمد بن إبراهيم المؤذن: سمعت أبا محمد بن عدي الفقيه يقول: روينا أن الرشيد لما ندب الناس إلى البيعة للأمين والمأمون صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فكان أول من صعد إليه في ذلك اليوم محمد بن إدريس الشافعي فوضع يده على رأس الأمين والمأمون ثم قال:

لا قصراً عنها ولا بلغتهما ** حتى يطول بها لديك طوالها

ثم بكى وأبكى الناس، قال: فساد الشافعي الناس في ذلك اليوم، وقد روينا من وجه آخر وفيه: أن ذلك كان بمكة فقال الناس: من هذا الشاب الذي جمع التهنئة والتعزية في بيت واحد؟ فقيل: هذا فتى من قريش يقال له: محمد بن إدريس الشافعي[2].

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص:١٥٦).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص:١٥٧).

قصة ما لا تجوز الفتيا إلا به

قال يونس بن عبد الأعلى: ناظرت محمد بن الحسن وكان عليه ثياب رقاق وكان يناظرني فتنتفخ أوداجه وينقطع زره حتى بقي بلا زر، فقال: لم يحل لصاحبكم أن يفتي برأيه لأنه لم يكن له عقل، قلت: نشدتك بالله أكان صاحبنا عالمًا بكتاب الله عزَّ وجلَّ؟ قال: نعم، قلت: عالمًا بحديث رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: عالمًا باختلاف أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: فنشدتك بالله أكان صاحبكم عالمًا بكتاب الله؟ قال: لا.

قلت: عالمًا بحديث رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قلت: كان عالمًا باختلاف أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكن كان عاقلاً، قلت: فكان في أصحابنا ثلاثة أشياء لا تجوز الفتيا إلا بهن وإن لم يكن له عقل لم يجز له أن يفتي، ولم يكن في صاحبكم ثلاثة أشياء لا تجوز الفتيا إلا بهن، وإن كان أعقل الناس لكن لا تجوز له الفتيا، قلت: قوله: «لم يكن له عقل» أراد به الرأي الذي هو اجتهاد وقياس، وقد روينا عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: ما رأيت أعقل من مالك بن أنس[1].

واجعل الليل جملاً

قال الشافعي: كنت مع محمد بن الحسن بالرقة، فمرضت فعادني في العواد فلما نقهت من مرضي مددت يدي إلى كتب عند رأسي فوقع في يدي كتاب الصلاة لمالك فنظرت في باب الكسوف ثم خرجت إلى المسجد فإذا محمد بن

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٨٢).

الحسن جالس فقلت له: قد جئت أناظرك في الكسوف، فقال: قد عرفت قولنا فيه: جئت أناظرك على النظر والخبر فقال: هات، قلت: أشترط ألا تحتد علي ولا تقلق ـ وكان محمد رجلاً قلقًا ـ قال: أما أن لا أحتد فلا أشترط ذلك ولكن لا يضرك ذاك عندي فناظرته فلما ضاغطته فكأنه وجد من ذلك قلت: هذا هشام بن عروة عن أبيه عن «عائشة» وزيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس واجتمع علي وعليه الناس فقال: وهل زدتني على أن جئتني بصبي وامرأة، فقلت: لو غيري جالسك! وقمت عنه بالغضب، فرفع الخبر إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين فقال: قد علمت أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يدع هذه الأمة حتى يبعث عليها قرشيًا فلقًا يرد عليهم ما هم فيه من الضلالة ثم رجعت إلى بيتي، فقلت لغلامي: اشدد رواحلك واجعل الليل جملاً، قال: فقدمت مصر[1].

وعاد الشافعي إلى اضطجاعه

قال أبو عبد الرحمن: دخل بشر المريسي يومًا على الشافعي وعند الشافعي رجل من المدينة، وكان الشافعي رضي الله عنه عليلاً متكئًا، فناظر بشر المريسي على المديني في إفراد الإقامة، فاحتج بشر على المديني قال له: قد اجتمعنا جميعًا على أن المقيم للصلاة إذا ثنى الإقامة فإنه قد أتى بالإقامة واختلفنا فيه إذا أفرد فالواجب أن يتجوز ما اتفقنا عليه ويبطل ما اختلفنا فيه، قال: فلم يكن عند المديني جواب فاستوى الشافعي جالسًا مع علته فقال: إن كان ما قلت يلزم صاحبنا فقد لزمك أن تقول بالترجيع في الأذان من قبل: إنا قد اتفقنا جميعًا على أن المؤذن إذا رجع في أذانه كان قد أتى بالأذان، واختلفا فيه إذا لم يرجع،

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٩١).

قال: فسكت بشر، وعلم الجميع أن ما اعتل به على المديني ليس بعلة، وعاد الشافعي إلى اضطجاعه[١].

النعجة

قال الربيع: كان الشافعي يقول: إذا ناظره إنسان في مسألة عدا منها إلى غيرها، نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد، فإذا أكثر عليه قال: مثلك مثل معلم كان بالمدينة يعلم الصبيان القرآن من كراسة فأملى على صبي ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ (ص: ٢٤)، فقال: بسؤال، ثم لم يدر ما بعده، فمر رجل فقام إليه فقال: أصلحك الله بسؤال نعجتك أو بعجئك؟ فقال له الرجل: يا عبد الله أفرغ من سؤال ثم سل عما بعده، إنما هو بسؤال نعجتك[٢].

قصة قضاء بني نجران

قال الحميدي: قال الشافعي: وليت نجران وبها بنو الحارث وموالي ثقيف فجمعتهم، فقلت: اختاروا سبعة نفر منكم فمن عدلوه كان عدلاً ومن جرحوه كان مجروحًا فجمعوا لي سبعة نفر منهم فجلست للحكم فقلت للخصوم: تقدموا فإذا شهد الشاهدان عندي التفت إلى السبعة فإن عدلوه كان عدلاً وإن جرحوه قلت: زدني شهودًا فلما أثبت على ذلك وجعلت أسجل وأحكم فنظروا إلى حكم جار فقالوا: إن هذه الضياع والأموال التي يحكم علينا فيها ليست لنا إنما هي للمنصور بن المهدي في أيدينا، فقلت للكاتب: اكتب واقر فلان بن فلان أن الذي وقع عليه حكمي في هذا الكتاب، أن هذه الضيعة أو المال الذي

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٩٩).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٠).

حكمت عليه فيه ليست له وإنما هي للمنصور بن المهدي في يده ومنصور بن المهدي على حجته شيء قائم، فزجوا إلى مكة فلم يزالوا يعملون حتى دفعت إلى العراق فقيل لي: اُنْظُر الباب، فنظرت فإذا لابُدَّ لي من الاختلاف إلى بعض أولئك وكان محمد بن الحسن جيد المنزلة فكتبت كتبه وعرفت قولهم، فكان إذا قام ناظرت أصحابه[1].

رأيت صاحبكم على ثبج البحر

قال أحمد بن محمد بن بنت الشافعي عن أبيه قال: رأينا الشافعي يناظر محمد بن الحسن بمنى في مسجد الخيف، ومعهم يومئذ بشر المريسي فأقبل محمد بن الحسن على الشافعي ـ رحمهما الله ـ فقال: يا أبا عبد الله بلغني أنك قد وضعت على أصحابنا كتابًا ونحن نحب أن نناظرك فيه، فقال له الشافعي: لا نريد ذلك، فإن المناظرة تنكت في القلب ولك صداقة، فأبى إلا أن يناظر فتناظر يومئذ، فقطعه الشافعي في مسائل شتى فأقبل الأزرقي فقيه أهل مكة، فقال لبشر: كيف رأيت صاحبنا وصاحبكم؟ قال: رأيت صاحبكم على ثبج البحر ورأيت صاحبنا يتمضمض من ثمادها، الثماد: الماء القليل[2].

معه نصف عقل أهل الدنيا

قال الحسن الزعفراني: كنا نحضر مجلس بشر المريسي وهناك نقدر على مناظرته فمشينا إلى أحمد بن حنبل، فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ (الجامع الصغير) الذي لأبي حنيفة نخوض معهم إذا خاضوا فقال: اصبروا فالآن يقدم

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:٧٦-٧٧).
(٢) «المناقب» (جـ١، ص:١٩٩-٢٠٠).

عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة قال: فقدم علينا الشافعي فمشينا إليه وسألناه شيئًا من كتبه، فأعطانا كتاب (اليمين مع الشاهد) فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه فلما رآني قال: ما جاء بك؟ لسنا بأصحاب حديث؟ قال: قلت: ذرني من هذا، إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد، فناظرته فقطعته فقال: ليس هذا من كلامكم هذا كلام رجل رأيته بمكة معه نصف عقل أهل الدنيا[1].

قصة أم الشافعي وأم بشر

شهدت أم الشافعي وأم بشر بمكة عند القاضي، قال: وأراد أن يفرق بينهما فقالت أم الشافعي: ليس لك ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ (البقرة: ٢٨٢)[2].

أخاف عليك العامة أن يحصبوك

قال عبد الله بن سوار: خرجنا حجاجًا إلى مكة ومعنا هلال بن يحيى فرأينا الشافعي في المسجد الحرام يفتي، فقال لي هلال: ترى لي أن أمضي وأناظر الشافعي؟ قلت: لا، هو رجل عارف يعرف عيوب أقاويلكم واحفظ للحديث منك، لا تقوى، دعه فإنه خير لك، قال: واسأله عن الشروط قلت: في هذا الموسم تسأله عن الشروط وتدع المناسك والصلاة؟! أخاف عليك العامة أن يحصبوك، فتركه ولم يناظره.

---

(١)، (٢) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٠١).

ما فعل الله بك

قال أحمد بن حنبل: رأيت الشافعي في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوَّجني وزوَّجني وقال لي: هذا بما لم تتنزه بما أرضيتك، ولم تتكبر فيما أعطيتك.

قصة قبول خبر الواحد

قال الحارث بن شريح: دخلت على الشافعي يومًا وعنده أحمد بن حنبل والحسين القلاسي ـ وكان الحسين أحد تلاميذ الشافعي المقدمين في حفظ الحديث ـ وعنده جماعة من أهل الحديث، والبيت غاص بالناس وبين يديه إبراهيم بن إسماعيل بن عُليه وهو يكلمه في خبر الواحد، فقلت للشافعي: يا أبا عبد الله عندك وجوه الناس وقد أقبلت إلى هذا المبتدع تكلمه؟! فقال لي وهو يبتسم؟ كلامي لهذا بحضرتهم أنفع من كلامي لهم قال: فقالوا: صدق فأقبل عليه الشافعي فقال له: ألست تزعم أن الحجة الإجماع؟ فقال: نعم، فقال له الشافعي: خبرني عن خبر الواحد العدل بإجماع دفعته أم بغير إجماع؟ قال: فانقطع إبراهيم ولم يجب وسُر القوم بذلك[1].

أجلسني على كرسي من ذهب

قال الربيع بن سليمان: رأيت الشافعي في النوم فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب.

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢١١).

قصة الرجل وخباء المرأة

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: آوى الليل رجلاً إلى خباء امرأة فأضاف بها فإذا هو برجل قد أقبل معه شاة له، فلما رآه قال لها: ما هذا؟ قالت: ضيف، قال: فحلب الشاة وجاءنا به وبشيء من طعام قال: وما أظنه إلا خلوًا، وما نال الأعرابي في تلك الليلة من الجهد[1].

قصة روعة عقلية الشافعي

قال يونس بن عبد الأعلى: ما كان الشافعي إلا ساحرًا، ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كأن ألفاظه سكر، وكان قد أوتي عذوبة منطق، وحسن بلاغة، وفرط ذكاء، وسيلان ذهن، وكمال فصاحة، وحضور حجة[2].

قصة الرد على من زعم تشيعه

سئل أحمد بن حنبل عن الشافعي، فقال: لقد من الله علينا به، لقد كنا تعلمنا كلام القوم، وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا، فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلم من غيره ولقد جالسناه الأيام والليالي، فما رأينا منه إلا كل خير، فقيل له: يا أبا عبد الله، كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه ـ يشير إلى التشيع وأنهما نسباه إلى ذلك ـ فقال أحمد بن حنبل: ما ندري ما يقولان؟ والله ما رأينا منه إلا خيرًا، ثم قال أحمد لمن حوله: اعلموا ـ رحمكم الله تعالى ـ أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئًا من العلم، وحُرمه قرناؤه وأشكاله، حسدوه، فرموه بما

---

(١) «الحلية» (٩/ ١٣٨).

(٢) «مناقب الشافعي» (٢/ ٥٠) للبيهقي.

ليس فيه وبئست الخصلة في أهل العلم، وعلق الذهبي على هذا الخبر النفيس، فقال ـ رحمه الله ـ: من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مفترٍ، لا يدري ما يقول.

قصة المذاكرة بالأنساب

روى ابن سريج عن بعض النسابيين أنه قال: كان الشافعي من أعلم الناس، لقد اجتمعوا معه ليلة، فذاكرهم بأنساب النساء إلى الصباح، وقال: أنساب الرجال يعرفها كل أحد[1].

فحداد أنت؟

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي وقد قدم عليه رجل من أهل صنعاء فلما رآه قال له: أنت من أهل صنعاء؟ قال: نعم، قال: فحداد أنت؟ قال: نعم.

قصة الشافعي مع معلم الغلمان

قال الربيع بن سليمان: كنا عند الشافعي إذ مر به رجل فقال الشافعي: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون حائكًا أو نجارًا، قال: فدعوناه فقلنا: ما صنعتك؟ قال: نجار، فقلنا: وغير ذلك، فقال: عندي غلمان يعملون في الحياكة[2].

يقتلني أشقر

قال حرملة: لما وقع الشافعي في الموت خرجنا من عنده، فقلت لأبي: يا أبتاه كل فراسة كانت للشافعي أخذناها يدًا بيد إلا قوله: يقتلني أشقر. وها هو

(١) «مناقب الشافعي» (١/ ٤٨٨) للبيهقي.
(٢) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٣١) للبيهقي.

يحتضر، فوافينا عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو فقلنا: إلى أين؟ ما لكم؟ قالوا: مات الشافعي، فقال أبي: من غمَّضه؟ قالوا: يوسف بن عمرو وكان أزرق[١].

وحدثنا في أنساب النساء

قال المزني: قدم علينا الشافعي، فأتاه ابن هشام صاحب المغازي فذاكره أنساب الرجال فقال له الشافعي: دع عنك أنساب الرجال فإنها لا تذهب عنا وعنك وحدثنا في أنساب النساء، فلما أخذوا فيها بقى ابن هشام!!! أي: انقطع ولم يجد حجته[٢].

قصة مناظرة إسحاق للشافعي

قال إسحاق بن إبراهيم: كنا بمكة والشافعي بها وأحمد بن حنبل قال: وكان أحمد يجالس الشافعي وكنت لا أجالسه فقال لي أحمد: يا أبا يعقوب مُرَّ جالس هذا الرجل، فقلت له: ما أصنع به؟ سنه قريب من سننا، أترك ابن عيينة والمقبري وهؤلاء الشيوخ؟! فقال أحمد: ويحك إن هذا يفوت وهذا لا يفوت، قال: فجالسته فتناظرنا في كراء بيوت مكة وكان الشافعي يساهل فيه وكنت لا أساهل فيه، فذكر حديثًا، وأخذت أنا في الباب أسرد عليه وهو ساكت فلما أن فرغت وكان معي رجل من أهل مرو فالتفت إليه فقلت: «مردك كمالاً نيست»[٣]، فعلم إني راطنت صاحبي بشيء هجَّنته فيه، فقال: تناظر؟ فقلت:

---

(١) ابن القيم «مفتاح دار السعادة» (جـ٣، ص: ١٢٠).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص: ٤٨٨).

(٣) كلمة فارسية تعني: هذا الرجل ليس له كمال.

للمناظرة جئت، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ (الحج: ٤٠)، نسب الديار إلى مالكيها أو إلى غير مالكيها؟ قال: وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (مسلم)، فنسب الديار إلى أربابها أم إلى غير أربابها؟ قال: فقلت: إلى أربابها، قال: واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالك غير مالك؟ قال: قلت: من مالك؟ قال: فلما عرفت أني قد أُفحمت قُمتُ.

قصة تصنيف كتاب الرسالة

قال موسى بن عبد الرحمن بن مهدي: أول من أظهر رأي مالك ـ رحمه الله ـ بالبصرة أبي، احتجم ومسح الحجامة ودخل المسجد فصلى ولم يتوضأ فاشتد ذلك على الناس، وثبت أبي على أمره، وبلغه خبر الشافعي ببغداد فكتب إليه يشكو ما هو فيه، فوضع له كتاب (الرسالة) وبعث به إلى أبي فسُر به سروراً كبيراً، قال موسى: فإني لأعرف ذلك الكتاب بذلك الخط عندنا[1].

إنه ليس في هذا الحد

قال الشافعي: قال لي الفضل بن الربيع: أحب أن أسمع مناظرتك للحسن ابن زياد اللؤلؤي، قال الشافعي: فقلت: ليس اللؤلؤي في هذا الحد ولكن أحضر بعض أصحابي حتى يكلمه بحضرتك، قال: فقال: وذاك، قال أبو نور: فحضر الشافعي وأحضر رجلاً من أصحابنا كوفيًا كان ينتحل مذهب أبي حنيفة فصار من أصحابنا فلما دخل اللؤلؤي أقبل الكوفي عليه والشافعي حاضر

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٣١).

بحضرة الفضل بن الربيع فقال له: إن أهل المدينة ينكرون على أصحابنا بعض قولهم، وأريد أن أسأل عن مسألة من ذلك قال: فقال اللؤلؤي: سل فقال له: ما تقول في رجل قذف محصنة وهو في الصلاة، فقال: فاسدة، قال: فقال له: فما حال طهارته؟ قال: طهارته بحالها ولا ينقض قذفه طهارته، قال: فقال له: فما تقول إن ضحك في الصلاة؟ قال: يعيد طهارته والصلاة، فقال له: وقذف المحصنات في الصلاة أيسر من الضحك فيها؟! قال له: وقعنا في هذا، ثم وثب فمضى، واستضحك الفضل بن الربيع، فقال له الشافعي: ألم أقل لك: إنه ليس في هذا الحد[1].

قصة الشافعي وضيافة الزيادي

قال علي بن محمد الزيادي: حدثنا أبي فقال: لما قدم علينا الشافعي من العراق قال: على من أنزل؟ قيل له: انزل على أبي حسان الزيادي قال: فنزل على أبي فأقام عنده سنة على أنعم حال فلما كان بعد سنة استأذنه في الخروج إلى المدينة فوجه أبي أبو حسان إلى ستة من إخوانه ستة رقاع فما رجعت له رقعة مع خادم لنا يقال له: ما رد صقلبي إلا ومع كل رقعة ألف دينار، فتركها بين يدي الشافعي، قال: فبكى أبي فقال له الشافعي: فما يبكيك يا أبا حسان، أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أقدر أن أكتب إلى أخ من إخواني في أخ مثلك ينزل علي في شرفك ومنصبك فيوجه إلي بألف دينار ثم قال: لا يزال الناس في تناقص من إخوانهم وأفعالهم ثم قال: إذا شئت يا أبا عبد الله، قال: فأخذ الدنانير وخرج من عنده إلى المدينة[2].

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢١٧).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٣١).

ففعل ذلك ـ والله ـ حين دخل مصر

قال عبد الله بن عبد الرحمن الزجاج ـ وكان يجالس الربيع بن سليمان ـ عن الربيع بن سلمان قال: رأيت الشافعي بنصيبين قبل أن يدخل مصر، فلم أره آكلاً بنهار ولا نائمًا بليل وكانت له جارية سوداء تخدمه وكان يعمل الباب من العلم ثم يقول: يا جارية قومي إلى القدَّاح فتقوم فتسرج له، فيكتب ما يحتاج أن يكتبه ويرسمه في موضعه ثم يطفئ السراج ويستلقي على ظهره فيعمل الباب من العلم ثم يقول: يا جارية قومي إلى القداح فتقوم وتسرج له فيكتب الباب من العلم ويرسمه في موضعه، ثم يطفئ السراج فكان على هذا منه فقلت: يا أبا عبد الله لو تركت السراج يَقِدِ فإن هذه الجارية منك في جهد؟ قال: إن السراج يشغل قلبي، قال: وقال لي يومًا: كيف تركت أهل مصر؟ فقلت: تركتهم على ضربين: فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك وأخذت به واعتمدت عليه وذبت عنه وناضلت عنه، وفرقة قد مالت إلى قول أبي حنيفة فأخذت به وناضلت عنه، فقال: أرجو أن أقدم مصر ـ إن شاء الله ـ وآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعًا، قال الربيع: ففعل ذلك ـ والله ـ حين دخل مصر[1].

في هذا الوقت يا أبا عبد الله؟!

دخل رجل على الشافعي قبل طلوع الفجر فوجده ينظر في المصحف فقال له: في هذا الوقت يا أبا عبد الله؟! قال: إني لعلي هذا منذ صليت العتمة ـ صلاة العشاء ـ أنظر في أحكام القرآن!

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٣٨).

فاستعبرت بعض المعبرين

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: أريت في المنام كأن آت أتاني فحمل كتبي وبثها في الهواء فتطايرت، فاستعبرت بعض المعبرين فقال: إن صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلدان الإسلام إلا ودخله علمك.

أنت تطعن على الشافعي

قال أبو القاسم القزويني: كان معنا ببغداد رجل من أهل المغرب كان يطعن على الشافعي، ويميل إلى قول مالك قال: فأصبحنا ذات يوم فقال لنا: إنا على الرحيل إلى مصر، فقلنا له: وما شأنك؟ قال: أريد أن أكتب كتب الشافعي قال: فقلنا له: إنك كنت تطعن على الشافعي!، فقال: إني رأيت في المنام البارحة كأن طيرًا أخضر يطير وقوم يأخذون منها ما شاؤا فذهبت لآخذ منها فمُنعت فقلت لهم: ما بالي أمنع من بين الناس؟ فقيل لي: أنت تطعن على الشافعي، قال: فقلت له: فلست أطعن عليه، قال: فجئت وأخذت فلم أمنع، فخروجي لأجل هذا.

الشافعي وقراءة القرآن

قال بحر بن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى نتساقط بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة من حسن صوته.

وفوق كل ذي علم عليم

دخل إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين مكة وأرادوا عبد الرازق فدخلوا المسجد الحرام فرأوا رجلاً شابًا على كرسي وحوله الناس وهو يقول: يا أهل الشام ويا أهل العراق سلوني عن سنة رسول الله ﷺ فقلنا لرجل: من هذا الجالس؟ فقال: المطلبي الشافعي، قال إسحاق: فقلت لأحمد ابن حنبل: يا أبا عبد الله مُر بنا إليه نجعل طريقنا عليه قال: فلما قمنا عليه قلنا: يا أبا عبد الله سله عن حديث النبي ﷺ: **«أمكنوا الطير في أوكارها»** (أبو داود)، فقال: وما تصنع بهذا؟ هذا مُفسر: دعوا الطير في ظلمة الليل في أوكارها فقال إسحاق: والله لأسألنه: يا مطلبي ما تفسر قول النبي ﷺ: **«أمكنوا الطير في أوكارها»**؟ قال: نعم يا فارسي، هذا أحمد بن حنبل بلغني أنه يفتي بالعراق في هذا الحديث: دعوا الطير في ظلمة الليل في أوكارها، قال إسحاق: يا مطلبي ما تفسير هذا الحديث؟ قال: نعم حدثنا بهذا الحديث سفيان بن عيينة فسألته عن تفسيره فقال: لا أدري، فقلت: بارك الله عليك أبا محمد فأخذ بيدي وقال لي: يا شافعي ما تفسير هذا الحديث؟ فقلت: كان أهل الجاهلية إذا أرادوا سفرًا عمدوا إلى الطير فسرحوها فإن أخذت يمينًا خرجوا في ذلك الفأل وإن أخذت يسارًا أو رجعت في خلفها تطيروا ورجعوا فلما أن بعث النبي ﷺ قدم مكة فنادى في الناس: **«أمكنوا الطير في أوكارها، وبكِّروا على اسم الله»**، قال إسحاق لأحمد: يا أبا عبد الله لو لم نرحل من العراق إلى الحجاز في تفسير هذا الحديث لكانت غنيمة، قال أحمد بن حنبل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦).

أي الأعمال عند الله أفضل؟

قال رجل للشافعي: أي الأعمال عند الله أفضل؟ قال الشافعي: ما لا يقبل عمل إلا به، قال: وما ذاك؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو؟ أعلى الأعمال درجة، وأشرفها منزلة، وأسناها حظًا، قال الرجل: ألا تخبرني عن الإيمان: قول وعمل، أو قول بلا عمل، قال الشافعي: الإيمان عمل لله، والقول بعض ذلك العمل، قال الرجل: صف لي ذلك حتى أفهمه، قال الشافعي: الإيمان عمل لله، والقول بعض ذلك العمل، ثم تابع: إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات، فمنها التام المنتهي تمامه، والناقص البين نقصانه، والزائد الزائد رجحانه، قال الرجل: وإن الإيمان ليتم وينقص، ويزيد؟ قال الشافعي: نعم، قال: وما الدليل على ذلك؟ قال الشافعي: إن الله جلَّ ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم، فقسمه فيها، وفرقه عليها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت بها أختها، بفرض من الله تعالى: فمنها «قلبه» الذي يعقل به، ويفقه، ويفهم، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها «عيناه» اللتان ينظر بهما، و«أذناه» اللتان يسمع بهما، و«يداه» اللتان يبطش بهما، و«رجلاه» اللتان يمشي بهما، و«فرجه» الذي الباه من قبله، و«لسانه» الذي ينطق به، و«رأسه» الذي فيه وجهه، فرض على القلب غير ما فرض على اللسان، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأما فرض الله على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد، والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من

عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ثناؤه على القلب وهو عمله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ (النحل: ١٠٦)، وقال: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة: ٤١)، وقال: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، فلذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان وهو عمله وهو رأس الإيمان، وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر به فقال في ذلك: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ (البقرة: ١٣٦)، وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول والتعبير عن القلب وهو عمله والفرض عليه من الإيمان[1].

يا سيد الشافعيين اليوم بيضت وجوهنا

كان إبراهيم الشافعي يقول: سمعت الشافعي يقول في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥)، قال: فلما حجبهم في السخط كان هذا دليلاً على أنهم يرونه في الرضا، قال: فقال أبو النجم القزويني: يا أبا إبراهيم به تقول؟ قال: نعم وبه أدين لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال: فقام إليه عصام وقبَّل رأسه، وقال: يا سيد الشافعيين اليوم بيضت وجوهنا.

وذكر إسحاق الطحان المصري فقال: حدثنا سعيد بن أسد قال: قلت للشافعي: ما تقول في حديث الرؤية؟ فقال لي: يا ابن أسد اقْضِ عليَّ حييت أو مت: إن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني به.

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٣٨٨).

قصة معرفة الكاتب

قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل أكاتب هو؟ فانظر أين يضع أدواته، فإن وضعها عن شماله أو بين يديه فاعلم أنه ليس بكاتب[1].

أترقى السطح بلا سلم؟!

روى الربيع بن سليمان فقال: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان بن عيينة: حدث الزهري يومًا بحديث فقلت: هاته بلا إسناد، فقال الزهري: أترقى السطح بلا سلم؟!

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٥).

openkandl.com